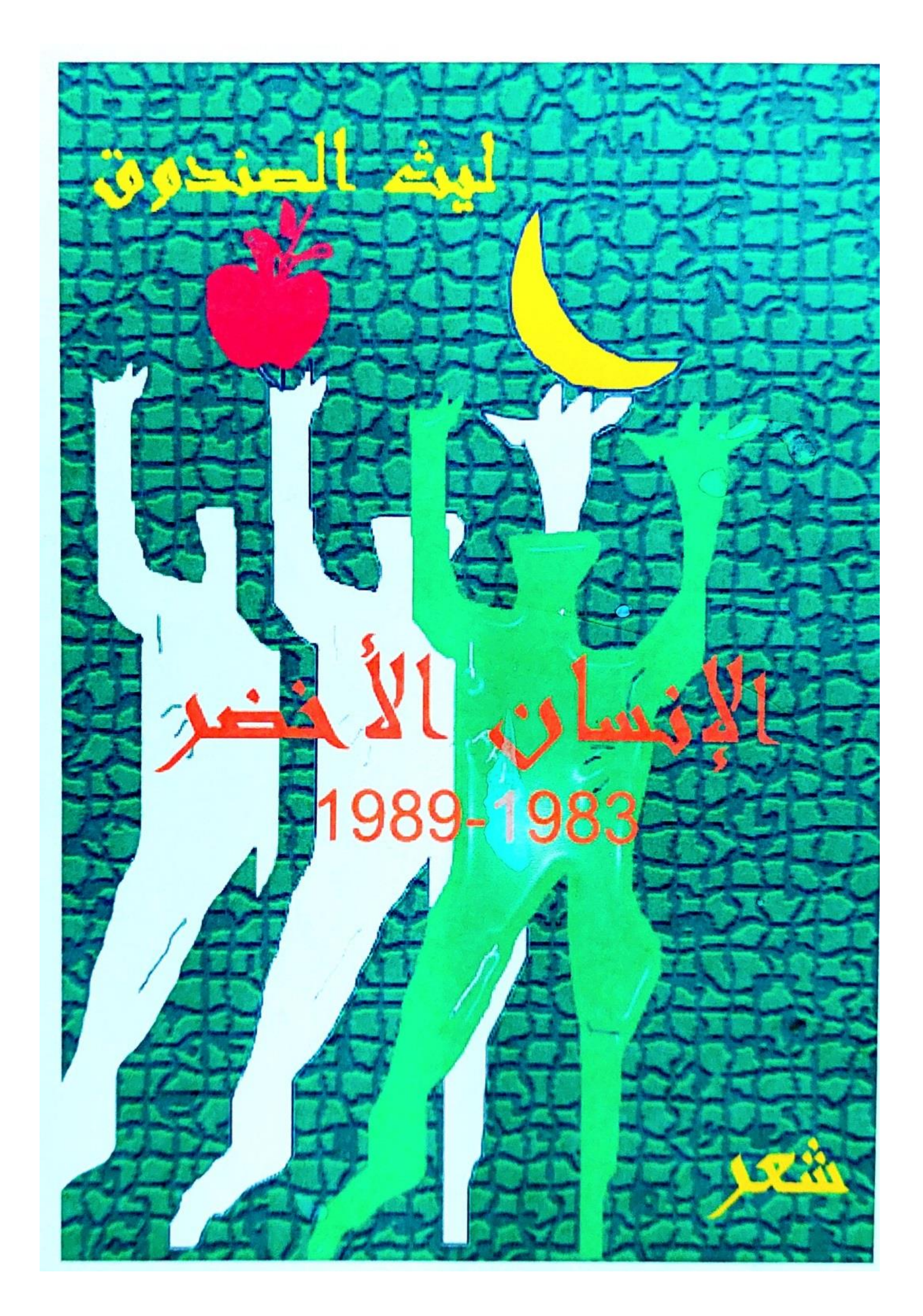

ليث الصندوق
الإنسان الأخضر
1989-1983
شعر

ألإنسانُ الأخضر

1983 - 1989

شعر

ليث الصندوق

811/92
ص 949 الصندوق ، ليث
ألانسان الأخضر 1983 - 1989
: شعر/ ليث الصندوق . – ط 2 . –
بغداد : مكتب نحلة ، 2008
ص ، 23 سم .
1 – الشعر العربي – العراق
أ . العنوان
م . و
2008 / 261

ألمكتبة الوطنية (ألفهرسة أثناء النشر)

رقم الأيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد 261 لسنة 2008

تصميم الغلاف
المهندس ذو الفقار ليث الصندوق

بغداد – الطبعة الثانية - 2008
طبع في مكتب نحلة – باب المعظم

ألسلالم

ألسلالم لا تنتهي عندَ حَدّ
تهبط حيناً
وتصعد مثل الصواريخ
ثاقبةً في جدار السماء
تدورُ بنا
وندورُ بها
فنوشك أن نتدحرج فوق صخور الضياء
سلالم مثل الغيوم
معلقة بالهواء
ونحنُ نمارسُ بين النزول
وبين الصعود
طقوس الغباء
إذا ما صعدنا فليسَ نُحدّقُ ما دوننا
ولا نتوقف عند النزول
فنخترقَ الأرضَ عبرَ ثقوب البناء
سلالم تدفعنا للأمام
ولكنها في الحقيقة
تقتادنا للوراء

ألسائقُ المَخمور

وراءَهُ
يجرّ كل (إمرءٍ) قاطرة الحديد
يوصلها حيناً إلى القمم
ومرّة أخرى إلى الهاوية
في كلّ جولة من العبور
تنفتحُ الأرضُ لبركان الدم المهدور
وتنحني الأشجار للإعصار في ضراعة
كأنها تطير

* * *

وراءنا نجرّ قاطراتنا السوداء
محروقةٌ في مِرجل الصبر بها قلوبنا
حزينةٌ أيامُنا
مغبرّةٌ

خلف النوافذ التي تعبس كالقبور
ليس لنا من مِتع الرحلة
إلا إبرُ الليل
بها نرفو خيامَ النور
بينا إلى المجهول تمضي القاطرة
مسرعةً
يقودها سائقها المخمور

ألزلزال

تطيح الزلازل بالأبنية
وتهوي بها مثل كوم تراب
تطير السطوح
كأغطية العلب المعدنية
تطير النوافذ صافقة بجناحين
مثل ملائكة تتخبّط غارقة في بحار الظلام
تبحث عن منفذ في السِداد النهور
فتكسرها
ثم تنسلٌّ
مذعورة كخيول بدون لجام
يُضفر حبلٌ من النار
مبتدئاً برؤوس النخيل

ومنتهياً بالغمام
تدور الرحى
تدور الرحى
فتخرّ جماجمُ مطحونةً
وأصابعُ مغموسةً بالسخام
وفوق البلاد التي أصبحت كرة من حطام
يطيرُ
ويهدل سربُ حمام

ألجبال

ألجبال التي تتمدّد في الأفق كالجثث النافقة
حطام من الذكريات
حجارتها من مناجم أعمارنا
والصدى المتردّد في جوفها سرّنا
والأفاعي التي في الجحور ضغائننا
والصقور على السفح
رغباتنا الهائجة

*** ***

ألجبال التي كلما نتباعد عنها
تزرقّ حدّ التلاشي لفرط الحنين
لكم أتمنى بأن أرتقيها

وأحبس نفسي بصندوق أحجارها
وأنام

*** ***

لكم أتلهّف أن أحتويها بصدري
كما أحتوي بعد كل فراق صديقا
فأشعر أن لتلك الحجارة
قلباً تسلل كالطفل تحت ثيابي
فمن قال : أن الحجارة ليست تجيد الكلام

*** ***

جبال
تمدّ إليّ يديها
تهدهدني ريحها كرضيع على الحجرات
فأغفو
وأشعر من فرط حبي لها
أنّ ملمس أحجارها من حرير

*** ***

جبال الطفولة
ياما أضعت بطيّاتها لعَبي

وياما بكيت لها ما أضعتُ
وياما كشفت لها – قبل أن نتفارقَ سرّاً
وحين أعود إليها
تفاجئني أنها حفرته على الحجرات
وحين أنقرّ أحجارها بيديّ
تردده غنوة من صدى في الوهادً

* *

ألجبال التي تملأ الأفق
ثمّ تبين على كبرها
دون ما نحن نحمل داخل أعماقنا من جبال
ليست سوى ذكريات
بنتها محبتنا صخرةً ، صخرةً
وقد سحبت قبضة الغلّ من بينها صخرة
فتهاوت جميعا

ألحصان

صهيل يجيء لأذني من داخلي
خفيضاً .. ومبتعداً
كلما أنا كذبته
تردّد في داخلي .. وتلاشى
فهل هو حقاً حصان بصدري ؟

أم اني رسمت بفرشاة وهمي له خلف عيني عيناً
وكحّلتها بالظنون
وكيف تسلـّلَ ،
مع نغماتِ الأسى ؟
أم غيومِ النعاس ؟
ولكنني لست أنفثُ من منخريّ دخاناً
وفي الصبح
لست أرى بصماتِ السنابك فوق الوسادة
وإذ أنا أنضو ثيابي عنـّي
فليس سوى أعظم
هي أقرب للشوك منها إلى مهرة أو حصان
واني إزاء الموانع
تطفئ ريحُ القنوط مصابيحَ عيني
فأخفض رأسي
وأزحفُ تحت جبال الفشل

* * *

ولكنني حين أغضبُ
أشعرُ أن قطيعَ خيول
يهشـّم مرآة عيني
وحين أُسَرّ
تمسّدُ عنقٌ حريرية شَعرَ صدري
وحين يُثارُ طموحي

يُقطـّع شيءٌ بصدريَ حبلا ً، ويعدو

*** * ***

نعم لا يُكذب هذا الصهيل
وليس يُكذب حسّي
فليس غريبا ً
بانّ حصانا ًيعيش بصدري
أليستْ هناك أفاعٍ
تعشّشُ في أضلعِ الآخرين ؟

حزيران - 1986

تسبيحة بُلبل جريح

بلبل داخل صدري
لم يغادر أضلعي يوماً سوى إن الرصاصة
أضرمت في ريشه النار ، فطار
لائذاً في غابة الغيم بأعشاش السماء

عندما ينشد
تشّابك أغصان على عُري السواقي
فأغاني الشمس من خفق جناحيه
وفي تسبيحة الوردة من أنفاسه عطر ضياء
طار حتى صار للسِرّ جناحين
فلم يبق لنا ما ندّريه في الخفاء

* * *

من تُرى يسمعهُ ؟
وهو بصدري
من تُرى يسمعني
وأنا من خشية البوح
على قيثارة الصمت تعوّدت الغناء
من غصون النار حلقنا معاً
لحنه صار أنيني
وأنا وزّعت روحي حطباً
بين خيام الغرباء
قد أكلنا
وشربنا
من صحون البدر
حين اشتكت الغابات من ظلمتها
وتدفأنا بنار
قد قبسناها بليل القرّ من جمر البكاء

* * *

بلبل خلف ضلوعي
كان يبكي
مثلما يبكي على أبنائه القتلى الشتاء

تحدّي

أنا لست أستقبل الموت مثل صديق
ولست أجافيه مثل عدوّ
فأمتعتي لم تزل فوق ظهري
إذا ما مللتُ الحياةَ
سأركب في أول القاطرات

وأضرمُ في شعريَ النار
متخذاً هامتي مدخنة

*** ***

أنا لستُ أحسبُ للموت أيَ حساب
ولا أتخلى له عن مفاتيح بيتي
يأتي متى ما يشاء
وفي يده من ضحاياه عضّة ناب
ولكنني سوف أضطرّهُ لو أراد لقائي
أن يثقب السقف
أو يكسر النافذة

*** ***

سأسقط في حفرة الموت يوماً
وأصرخ
من دون أن تتنبّه لي قافلة
وقد يسمع الأصدقاءُ صراخي
فلا يستجيبون لي
(فمن في صهير البراكين يلقي بأبنائِهِ
ليغيثَ غريقاً ؟)
عندئذ سوف ألقي سلاحي
وأرفع راياتيَ البيضَ

معترفاً بالهزيمة

*** ***

أنا لست أحسب للموت أيَ حساب
وأرفض من فتحة الباب أن أترصّده
وهو يشرب نخب ضحيته
وما كنت من معجبيه
لأطلب صورته ، وتواقيعه
واني لأؤثرُ أن ألتقيه مصادفة
فأدخله غرفتي
وأوصد بابي ونافذتي
وأرجوه أن يملأ البيت غازاً
لأسقط مختنقاً بهدوء

أنفسُنا التي نتهيّبُها

حولي إذا ما سرتُ أشباحٌ تدور
خلفي

ومن فوقي
وقد تتقدّمُ الأقدارَ قفزاً للأمامْ
حشدٌ ضبابيٌّ
تواريهِ عن الأنظار أعمدة ُالرُّخام
حشدٌ يميلُ إذا أنا ما مِلتُ
وإذا التفتّ
يفرّ مختبئاً بأفواه النيام

* * *

ماذا تقولُ إذا التقينا تلكم الأشباحُ ؟
بل ماذا تُريد ؟
وكلما ناديتها غطسَتْ بقيعان الكلام
وبأيّ أسلحة ستصرعُني ؟
ولِمَ الهروبُ ؟
وكان أجدى أن تُكاشفني
وتسمحُ لي بأنْ – عن وجهها المجدور –
أرفعَ كلّ أقنعة السُّخام

* * *

حيناً أفكّرُ أن أناديها بإسمي
وأبسُمُ
كي تُبادلني السلام

فإذا التقينا
سوفَ أحضنها
وأنبشُ ما تُخبّيءُ تحتَ أكوام العظام
ولسوف أدعوها إلى بيتي
وأقضي الليلَ أرجفُ في الشوارعِ
وهي تغفو تحت أغطيةِ المنام

* * *

حيناً أفكّرُ أضرمُ النيرانَ في أكمامها
أو أقطعِ الطرقاتِ دون هروبها
أو أخدعُ الموتَ ـ الذي
يقفو خطاها ــ باللثام
لكنّ ذلك ليس ينجيني إذا غضبت
لا قتلها يُنجي
ولا تُنجي صداقتها
ولسوف تظهرُ دائماً
مثلَ الرصاصةِ من تجاويفِ الزحام

أمنية

أنا مبهور بنيران الحريق
تقطع الغابَ بمنشار اللهب
تهرسُ الأبدانَ في قِدر الدخان
في يدي حبل
إذا أرخيته حوّط عنقي
في لهاتي غنوة
حولها خوفي استغاثة

*** ***

أنا مبهور بنيران الحريق
غير اني في اختيارات الأماني
لست طمّاحاً لأن أغدو حريقاً
أو أفكّ القيد
عن خيل اللهيب المنطلق
ربما أمنيتي أصبح سقفاً خشبياً
في بيوت تحترق

سريرٌ من الإبر

لفَّ الليلُ الأفق بأكفان سودٍ
وبدت مدن الوحش كمقبرةٍ مفتوحة
ألريح المجنونة
سكبت في أحداق الموتى
ما في دورقها من عفن
لا بدّ وأن أخرقَ قضبان الأحراج
لكي أتعانق معْ ندّي
حتى ينزف أحدنا بين يديّ الأخر
فلقد إنكسرت أبواب الأقفاص
واندفعت قطعان وحوش

* * *

من يسمعني إذ أصرخ
غير الأضواء
ليس لديّ مفاتيح لهذي الجدران
من يسقي أخطائي
فتنمو كالشوكة
لا املك إلا أن أروي ظمأي من مطر التيزاب
وأردّدُ أغنية من انات المشنوقين
وأنام على سُرُر من إبر
وأمصّ نيوب الأفعى

* * *

لا بدّ وأن أخرج كفي من أكمام الفجر
ألملم خرزات مسابحه
وأعيد إلى فروته ماسات القمل السوداء
فالغابة تشهر في وجهيَ أنياب الظلمة والشوك
قطعانٌ ...
قطعانٌ ...
قطعان
قطعانٌ ترتاح بُعيد عناء النهش
والأخرى تنقضُّ
ألرعب المتخذ من السبطانة بوقاً
أيقظ ديدان القبر
وحرّر من أفواه الدود الموتى

* * *

لا بدّ وأن أسكب ماء النشوة
في نظراتي المذبوحة تحت سكاكين الأهداب
لا بدّ وأن أتحرّر
من دبق الأثمار النازفة بلا طعنات
لا بدّ وأن أقطع من جسدي الأعشابَ الصفرَ
لكي يتنفس كالإسفنجة

فأنا لا أملك إلا أن أشعل عود ثقاب
في ظلمات البئر
منتظراً من يلقي لي حبلاً

دويّ انـهيار ٍبعيد

من موقع مبـهم
هو بين الحقيقة والوهم
أسمعِ صوتَ انـهيار عظيم
فأبحثُ عن عاصمٍ لألوذ به
أجمعِ جسميَ داخل جَيبيَ مثلَ الكرة
أو أتسلل تحت الحجارة
(يفزعني أن تحت الحجارة تأوي الصلال)
وأبقى هنا
موثقاً بسلاسل خوفي
تحجّرَ في مقلتيّ السؤال
تخثر في شفتيّ دمي
وانعقدتْ في ثيابيَ
أوصالُ جسميَ مثلَ حبال

*   *   *

وشيئاً فشيئاً يحلّ الظلام
يُمطرُ قاراً
يُمطر من غيمة حرّرتها الزوابع
من ثُقُب في الجدار
أسمع صوتَ انفلاق البذار
وصوتَ الفقاقيعِ تطفو على مَوجةٍ في البحار
وقبل انطباق السماءِ على الأفق
تُطوى
وتُنشرُ فوق حبال الغروب الظلال
ومن دون أن تتهاوى الحجارة
يعلو الدويّ بأذني
يحرّضني أن أحرّرَ عينيَ من ظلمات المغارة
وأطلقها في المكان تُجيلُ النظر
ليس هنا من خطر
إنها المرّةُ الألفُ
أُخدعُ من نبضة في الوتينِ
فالشمسُ لمّا تزلْ
في السماء
لها ضحكةٌ صُلبَةٌ من حجر
وحوليَ لم تتزحزحْ عن الأفق تلك الجبال
ولن تثقبُ الراجمات جبيني
أيّ صوتٍ إذن كنتُ أسمعهُ
هل أنا كنتُ أسمع صوتَ يقيني ؟

صرخة في هاوية

قال لي (وهو يوميء للهاوية)
ـ إياك أن تتقدّم
إنّ الزلازل تسكب نيرانها
فوق من يكسرون نوافذها
وتلقي ثياب العمى الريح
فوق الذين ينامون فوق أسرّتها
وإنّ غصوناً ستعصر روحك
في أكؤس من رخام

* *

قال لي : (لا تسِر نحو موتك)
لكنني كنت أدرك
أني إذا ما استكنتُ

ستقفز بي غضبة متوارية للأمام
ولا يملك النصحُ لجم شياطينيَ الهائجة

* *

وكان صدى صاحبي يتردّد في أذني أن أعود
ومقلته في الرياح تحلق مثل فقاعة
ولكنني ما رجعتُ
وبالرغم من إنني جاهل
بالذي سيواجهني في ختام الطريق
وأدري بأني لا بدّ يوماً أموت
ولكنني قد بَعُدتُ
إلى حدّ أن لم أعد أنا أسمعُ صوتَ صديقي
بعُدتُ
بعُدتُ
إلى حدّ أنْ لم أعد أنا أسمع صوتي

غرفةٌ في الطابق السادس

1 ـ ضجر

سُحُبٌ من دخنة نار

تتقشّعُ عن وجه مجدور ودميم
تفزعُ هاربة أرواح الموتى من أبواب جحيم
تسوَدّ الدنيا
ويضيق الأفق
فلا أملك أن أهرب إلا عبر مرايا التنجيم
قلتُ لهم : لا ترويني أكؤسكم
أين نديمي
أين نديمي
وكؤوس نديمي صابٌ وحميم

* * *

حَجَري طيلة عُمري أحمله
وأحاول أن أتحرّر منه
بأن ألقيه إلى الوادي
ألقي نفسي
ويظلّ على صدري حَجَري ذاك مقيم

2 _ لوحة باللون الأسود

سِربٌ من الغِربان
يجرّ في السماء من ورائه لوحاً
قرينَ الرمس
يغيب في الغيم ، ومن ورائه
يغيبُ قرصُ الشمس

3 – أول البرد

لمّا تكن نافذتي مفتوحة
ألباب كان موصداً
والناس في أرغفة يلتهمون الرعد
من أين يا تُرى أتاني البرد ؟
من أين يا تُرى أتاني البرد ؟
لم يدخل البيت من المزريبِ
معْ خشخشة الهشيم
أو معْ ضربة من نرد
فاجأني بغرفتي
قد جاءَ بالرياح والأمطار دون وعد
قلبيَ كان كلما أوشك أن ينبضَ بعد ميتة
تجمّدت عروقه من صَد

4 – ألحرائق

لتبقَ معي يا صديقي
لتبقَ معي ، فالحرائق تمحو الرسوم
ضُ◌ُمّ بطيّة ثوبيَ رأسكَ
أغمض بلحميَ عينيكَ

نكنْ جسداً واحداً
يتحدى الحريق العظيم

*** * ***

عبثاً ما حرصنا نحاذر من قدر
نحن نتبعه
ونسير له كالنمال إلى عاليات الكروم
وقد نتذرّعُ
أن الملال من الشهد
حرّضنا أن نذوق السموم

*** * ***

ألحرائقُ ما اندلعت من فتيل
ولا قرعت قبضة الحقد أجراسها
ولا حرّرتها المخارز
من يابسات الكلوم
ولكنها اندلعت من خيالاتنا
لتنال الجسوم

5 ـ ألوجه والقناع

تنزل للأرض شياطينٌ
تلبسُ لبس الناس
وتضيعُ بزحمتهم

حتى لا تنماز

*** * ***

وعلى الأرض أناسٌ
ملوا الطيبة
فاعتاضوا عن حلو اللفتة بالألغاز
لبسوا أثواب الشيطان
وساقوا الجنّ بلا مهماز

6 ـ أللغة البديل

أصغي
ولكن لستُ أدري ما يُراد
لغطٌ
وألسنة تحوم
كما يحوم على المدى سرب الجراد
لا ... ليس يُطحنُ ما يُنثّ
وليسَ يُهدى من يُقاد
هل خارتِ اللغة ـ الحصانُ
ودبّ في المعنى الفساد
أم مذ نزلتُ أنا غريباً لم أزل
عن لسن هاتيك البلاد

7 – إعادة الخلق

نمزق جلدتنا
ثمّ ننزعها
مثلما نحن ننزع عنا البرودا
ونلقي بها في المواقد
حتى يفلّ الحديدُ الحديدا
ونبسمُ من خلل الدمع زهواً
ونحن نلمّ الرماد
ونفرح – رغم الحروق – لأنا كسرنا القيودا

* * *

نمزق جلدتنا
ونمنحُ نولاً لأرواحنا العاريات عنيدا
لننسجَ جلداً جديدا

8 – سماء في جيبي

قريبة تبدو إذا دعوتُ مني السماء
قريبة
فإن أنا نهضتُ
تسّربُ تحت سترتي النجوم
قريبة

إذا أنا ناديتُ ردّت لي الصدى
وإن مددتُ قبضتي
جمعتُ سلة من النجومِ

9 ـ مرايا محطمة

أبحث في الأوجه عن وجهي
أتوسّلها
أنفضها ثمّ أقلبها طيّاتٍ
أسكب نظراتٍ في كأسيَ منها مهمومة
أصرخُ فيها
أصرخ فيها
لكن عبثاً تنطقُ
فهيَ مرايا محطومة

10 ـ أنفسنا التي نجهلها

تبدو أعيننا كنوافذ فُرنٍ
وأيادينا كالأشواك
والسيقان سيوفٌ في الغمرةْ
والشعر الكثّ عباءات شياطين
وعلى سطح دمانا
تطفو خثرةْ

أوجهنا لا توحي
أنْ تحت حديد قساوتنا زهرة

11 ـ إتحاد

أطلقني من قفصي
وقالَ : طِرْ
أبعدَ ماتسطيعُهُ رصاصةٌ أن تبعُدا
وكان ـ كلما ابتعدتُ ـ ظله
يكادُ في ظليَ أن يتحدا

12 ـ ألأصل والصورة

ألقمر الراحل في المياه
نادى وجهَهُ البريء
أيّاك لو أغيبُ أن تتبعني
فنحن إنْ غبنا معاً
هيهاتَ أن نضيء

صرخة تحريض

1 . تحريض

سمحت لكفي أن تتجوّل خارج جسمي
وترفض سطوة عقلي عليها
وتعلن ضدّي ثورتها
وحين أحسّ بأني افتقدت صديقاً
أنادي عليها
فتنسى ضغينتها
ونعود صحابا

* *

سمحت لكفي تعابث شيطان شكّي
وتلقي بحملي إلى الهاوية
وإن رغبتْ سأقدّم عنقي لسكينها
طائعاً راضياً

* *

سمحت لكفيَ ترفضني
فإذا ارتكبت جُرُماً
سأدافع عنها أمام القضاة
ولو سمحوا لي
سأدخل أقفاصها
وألبس ثوب جريمتها
وأحرّرها من ظلام السجون

*** ***

سأعلن تحرير كفي
وأقبل دعوتها :
أن أمزق جسمي إلى دول مستقلة
وجلّ الذي أنا أطلبه
أن تعود قبيل ارتحال قطار المنيّة
تحمل أمتعتي
وتؤانسني
فما أوحش الدرب دون صديق

2 . صدى مني

أيها العابر
مَن أنتَ ؟
ومن أين أتيت ؟

وإلى أيّ ضياء سوف تمضي ؟
ولماذا اتخذت يُمناك شكل المطرقة ؟
فهوت ما بيننا
تهدم أحجار الضباب

* * *

أيها العابر
ألقِ الحبلَ
واخرجنيَ من أبار خوفي
أنا لا تفزعني أفعى الخراب
فلقد مزقتِ الأيامُ جسمي بنيوبٍ وحِراب
إن ما يُفزعني
ألا أرى في العشب من صوتك قطرات ندى
ويمرّ العُمرُ من دون صحاب
عندما تنطفيء الضحكة في جوفيَ
يُلقون بأحداقيَ أعواد ثُقاب

* * *

أنا لا أطمحُ في شيءٍ
سوى أن ألتقيك
كائناً من كنتَ
ناراً

أو عبيراً
أو هباب

3 . صوتُ الدم

أنصتُ أحياناً لخرير دمائي
تهبط في وديان عروقي كالشلال
وأحسّ بمنشار ينجر أضلاعي
وعلى العشب اليابس
تسقط من جدب أثماري
فأقول : إذاً نبضي أصداءُ الرغبات

*** * ***

أسمع أحياناً لدمائي صوت عواء
وهريراً
كهرير ذئاب جوعى
تُفزع حتى المَيْتَ
فيهرب من قيد الإكفان
وأسائلُ : ايّ ذئاب
تتخفى داخل إنسان
تتقلد ضحكتهُ

تتخفى بالهُدب وبالأسنان
تتفاخر بالمجد الزائف
مجد النهش
ومجد هروب الرايات من الميدان
والعودة في الظلمة
نبشاً عن أشلاء الموتى في النيران
أنصت أحياناً لدمائي
فأقول بأني أسمعُ صوتَ الخذلان

* * *

اسمع صوت دمائي
يتناهى كثغاء مع إيقاع اللمعان
يتباعد
أو يدنو
ويليّن قلبي الحجريّ بلمسات حنان
فأنام
وأحلم أن يداً من رحم الغيب
ترفع راياتي
وتُحرّر من أقفاصي طير الأحزان
صوتٌ نبويّ يقرع بوابة صدري
فأقول بأني أسمع صوت الإيمان

4 . قل : غداً

... وقلْ لي : (غداً) ، دون خوف
ألقِ الكلاليبَ نحوَ القمم
واطلقْ مع العاصفات القدم
ودلّ الحبال
وشيّد بيوت الحقيقة
من حجرات الخيال

* *

... وقل لي : (غداً) ، دون خوف
ومُدّ يداً نهمة للسماء
وبعثر بدون اعتناء نجوم المساء
ترى كيف أنت ارتضيت بداني الثمر ؟
فما رفعة النسر إلا لأنّ
جناحيه قد رُبطا بالفضاء

* *

كثيرون مَن يَرهبون الغدا
ويدّخرون ليوم كريه
مليء الدنان
كثيرون مَن يرتضون عناء المسير

مخافة أن يسقطوا حين يكبوا الحصان
كثيرون مَن يؤثرون الكُساح على الطيران
ولكنني سأقول : غدا
لأني أريد إذا انطفأت مقلتي
أن تضوّي على غرفتي نجمتان

5 . طموح

سنثقب السماء كي تسقطَ من ثقوبها النجوم
ومثلما المعول تنضمّ أيادينا
لكي تقوّض الجدران
فيستحيل طوبها بين أيادينا إلى أجنحة

* *

سنقهر الأقوى بسيفٍ سَلّهُ من أضلع الضحايا
ونعجن النار لنبني جنة في خربة التاريخ
ونحمل الأفق على أكتافنا
كجثة قد ثقبتها طلقة الطموح

* *

سندفن الأحزان في أعماقنا بمجرفة
سرعان ما تنبت زهراً من قبل
ونوقد الوضوح في مُعتمة الأشعار
ونرفع الفكر إلى مرتبة القداسة
فننحني لأهله حتى تشقّ الأرضَ هاماتنا
كأننا في حضرة الأنبياء

* *

وعندما نملّ من رتابة الغناء
نطلق من أعماقنا الطيور
نودّ بعد غيبة الروح عن الأجساد
أن تعود كي تسكنها
فتغتدي قِبلتنا عيونُ من نحبّهم
وحبّهم صلاة

* *

أما إذا عدنا من الغربة كي نعمّق الأبار
ولم تعد حكمتنا ترأب في ضميرنا الصدوع
ولم تعد غنوتنا تنفذ في قلوبنا
إلا لكي تسمّم الضمائر
عندئذ سنبتني قبورنا داخل أجسادنا
وربما تقلع أوهى نسمة

كلّ الذي شيّدت العنكبوت

6ـ . صلاة

كنا على الشرفة
نوزّع البسمات
والقاتلون يغسلون في حمامنا أكفهم
يعلقون قفازاتهم
منقوعة بالدم فوق حبلنا
ويدّعون : أنما الأعمال بالنيّات
ننفض عن أضلاعنا جلودنا
فتسقط الطعنات
وعندما تزيح عن أنظارنا الشمس ستارة العمى
ندرك أن الأرض
ما كانت سوى حقل من الأشواك
إلهنا
جللتَ عن إنصافنا
جللت في علاك

7 . دعوة بدائية

لنخلع الثوب الذي كدّمه الطلاء

فإن عدمنا غيره
لندخل الحفلة عارين من الأثواب

* *

لنشربِ الماء من النبع براحتين
فالماء لا يُشربُ من قناني
لأنه يُمجّ من صلابة الزجاج

* *

ولنتسلقْ صخرة البركان
فربما سنلتقي أرواحنا
تدخن التبغ على الفوّهة

* *

نكدح طول اليوم كالدبيب
ونثقب الحديد بالأظفار سارين إلى مصادر الضياء
ونصعد الجبال حتى تهتري أقدامنا
نعرَقُ من عنائنا كأننا غيوم
لأن أمطار العناء وحدها
تغسل عن قلوبنا الأوحال

* *

فلنهربِ اليوم من الظلماء
لأنها تجتث من قمصاننا
ما تغرس الشمسُ من الأعشاب
فلنهرب اليوم من البكاء
تآكلت أجفاننا
فلم تعد تستر ما نخفي من الأحلام

8. رصاصات طائشة

كيف بقيت أنا حياً ؟
وانغرست عينيَ كالنجمة في الظلمات
كيف تخطيت السنوات
وهي كحبل الغسل
عليها تخفق أجساد الموتى
كيف تسنى لي أن أهرب من أشباح
كالنيران تحاصرني
وتسمّر بالجمر نوافذ من دخان
كيف بقيت إلى الأن أداعب أنياب التنين
وأدبّ على قدم كالعشب المهزول

* *

ألاف الطعنات تركتُ لها أثوابيَ ونجوت
ألاف القبل المسمومة
بالصابون غسلت مرارتها من روحي
ألاف الحُفر مموّهة بالأحراج قفزت عليها
وتركت لفكّيها من يمشون نياما
أركض ما زلت إلى الأن
وورائي صَليَاتُ رصاص طائش

9 . صانع الدروع

ألدروع التي أنا طوّعتها من حديد
وأسبغت روحي عليها
فجاءت معاندة كطباعيَ للطعنات
تفاجئني انها تتمرّد ضدي
فتضمر لي في برودتها ألماً في العظام

*** ***

الدروع التي أنا عرّضتها للهيب
ونقعتها بالحوامض
كيما تقاوم وحش الزمن
لقد خذلتنيَ في الاختبار

فلمّا يكد عرقي يتصبّب في زردها
حتى استلانت
وذابت كحفنة ملح
فأنى ستدفع عني
إذا ما دخلت بها في نزال ؟

أقنعةُ بغداد

1 – ألموت سُكراً

إنكسرت فوق المنضدة الكأس الأولى
والثانية انغرزت في وجه محطّمها
كالعين العوراء
والثالثة امتلكت ريشاً ، وجناحين
فطارت
ووراها طار العقلاء
والرابعة اخترقت سُحُب الدخان إلى الخارج

تسبق صيحات الدخلاء
والخامسة ارتفعت بعد شجار
فالتقفتها غربان الظلماء

*** * ***

كان الساقي يملأ كل كؤوس الحانة
والسكير يعبّ ، ويكرع
حتى أفرغ في معدته السحب السوداء

*** * ***

قال الساقي :
ليس وراءَكَ من أحدٍ
فلماذا تهرب ؟
إن لم تكُ أتقنتَ اللعبَ
لماذا تلعب ؟
كم يكفيكَ من الأيام
لتستيقظ من هذي السكرة ؟
لكنك ما تبرح تشرب
قال السكيرُ : سأستيقظ
لحظة أتركُ بابَ المشرب

1989

2 ـ ألجسد ـ القيثار

نزلَ القمرُ المُسهدُ
يطرقُ نافذة الحسناء الفلبينية في الفندق
يسكب خمرته في مفرق نهديها
يلحسُ لوح الثلج الحار
فتحتها
فانسلتْ سُحُب الصيف الساخن
من دانتيل الأستار
وارتعشت أعمدة الضوء على كريستال الفخذين
وتلاشت شفة ذائبة
في عسل الأمطار
فاستسمحها أنْ تقطفهُ من أشجار الليل
وتلقيهِ في معصرة الأثمار
أن تضفر خيطان الضوء الناصلِ من جبّته
أوتاراً فوق الجسد ـ القيثار
قالت : أعذرني
فصديقي يغفو في البهوِ
وحان أوان تحمّمنا بالنار
إذهبْ (لعلاوي الحلة)
فهنالك بنتٌ من ذهب
تستجدي في أحياء التجّار
بنتٌ من أجل ملاحتها

تتمنى أنْ تنزل للأرض لتشحذ كلُ الأقمار
تشرين الثاني - 1989

3 – بانوراما

من نصب الحرية
سقطت بعض القطع الفنية
لم يرفعها أحدٌ
لم تُفتضّ خفايا البسمات المغموسة بالغسلين
داسَ عليها الباعةُ
والشرطة
والملفوفين بأثواب رجال الدين

* * *

لم يتلفت أحدٌ لأنين المعدن
يصعد من أفواه المغدورين
لم توقف أجسادُ المارّة
زحف القاطرة – السكين
لم يُشعل أحدٌ
برميل البارود بألواح النصب
كان حمام الساحة
يتخذ شعور النسوة أعشاشاً
والصبحُ يعلق في واجهة الحانات
ثياب المذبوحين

مرّ العمّال يجرون وراءهمو أقداماً ميتة
مرّ الجرحى يجرّون بأكياسٍ أكوامَ شرايين
كانت حافلة الركاب المنفوخة
تنفث عبر أنابيب عوادمها
أنّآتِ المحرومين

*** * ***

من نصب الحرية
سقطت بعض القطع الفنية
لم يُرجعها أحدٌ للإفريز
أو يمسح بالهُدب الطين
كانت مثل الثلج تموعُ
والفجر الخجلان يمرّ بها
فيقول : وداعاً
لن أترجّل في الباب الشرقيّ
ما دامت حتى أمطاري
في قائمة المطلوبين
مرّتْ دوريات الأمن
تصيدُ بنظرات الأحقاد
شباباً هربوا من جبهات المنسيين
تركوا المدفع يعطس تحت الشمس
وجاءوا
ينتشلون الفلس الساقط من أحشاء التنين

كانت أمنيتي
أنْ تهرب أيضاً لوحات النصب
أو أنْ تُحقن تحت الجلدة مثل عقار الأنسولين
لم أكُ أمل
أن تسّاقط من جسد الوطن المقتول كورقة تين
1987

4 – أحزان الفجر

كان الفجر على دجلة
ينزل من طائرة سمتية
مثل الجاسوس الهارب من نيران الرقباء
يقلبُ طيّات الغيمة
بحثاً عن أقنعة الإخفاء
يلقي من سطح (القشلة) جثة أخر شاعرة
أهدت طبق (البيتزا) إلى بدو الصحراء

* * *

كان الفجر غريباً
فكأنّ بساتين الجوريْ
تنفخُ في عينيه الأفيون
ومقص العدل إلى الساعة
لم يقطع حبل الحلاج المطعون

* * *

كان النهر غريباً عن شبك الصيّادين
والجسر المصروعُ بنظرات العُشّاق
توزع ما بين الضفتين إلى أوصال
والتائهة تفتش في المفقودات عن الفجر
تحمل صورته
بينا هو يرسم ضحكته بالفرجال
كان الفجر فقيراً
يسكن في أحياء العمال
لكن حرس الوالي استكثر
أن يتنفس من أفراح الناس
فأسكنه في حافظة الأزبال
تشرين الثاني - 1989

5 . بِشرُ الحافي (*)

بشر الحافي في نادي الشيطان
أنفق ثروته فوق المائدة الدوّارة
علق سجّادته فوق صواري المهزومين
وبنى حول صوامعهِ أسواراً من فلين
وتحجج من رفض الدنيا
أن يتوارى في القيعان

* * *

بشر الحافي
أغلق خزانات (البنك) على سُوَر القرآن
أطلق نار الصبر على مئذنة الجامع
قرأ بأيدي قراصنة الليل الطالع
و بكأس الخمرة ذوّبَ ثلجَ الغفران

*** * ***

بشر الحافي
مات مصاباً بالإدمان
وبشر الحافي حين يموت
تنفلق التسبيحة من شفة العابد
كالدمّلة الملآى بالقيح
وتنفرط السبحة
مثل بيوض تفقس عن دود الحرمان
لكن بشر الحافي
قبل أوان الميتة قد لبس الأكفان
لم يطق الوحدة في القبر
وكان بنعماهُ ينادم ظلّ الحيطان
بشر الحافي ساق إلى حفرته موكبنا
وأهال علينا رمل البهتان

1989

(*) بشــر الحافي : هو أبو نصــر بشــر بن الحارث الحافي (150 – 227) هجرية ، متصوّف بغدادي يشهد له المؤرخون بالورع والتقوى .

6 . حفيفُ الشجر اليابس

كانَ عراقاً آخرَ
غيرَ عراق النخل الطالعِ
معْ ساعاتِ صلاةِ الفجر من الحانات
غيرَ عراق القمر الساكبِ
صحنَ الشهد على الشرفات
كانَ عراقاً بملايين الأبواب المخلوعة
بملايين الأشجار المقلوعةِ
كالأضراس من الغابات
بملايين الأنهار النضّاحةِ
من فرط الطعنات
يستنجدُ بالأقدام المذعورة
يتشبّثُ وسط الطوفان بطوق نجاة
والريح تؤرجحهُ
فينادي : ربّي رحماك
لستُ أرى – من بعد عمايَ –
من الدنيا إلاك

* * *

كان عراقاً
أصغرَ من ثوب مبلولٍ
يتبخرُ تحتَ المكواة
أنحفَ من قلمٍ في مبراة
يرجفُ قبلَ نزولِ الثلج
ينزف
كالقمر المشنوق على أعشاب المرج
يبكي كالعنقود بمعصرة الأثمار
كان عراقاً محزوناً
لا تبدو غير أصابعه
تنزفُ من تحت الأحجار

تشرين الثاني - 1989

سفر على خارطة الوهم

1 . ألهروب إلى السجن

بعد إبحار طويل
حطّ منفيون في أرض جزيرة
فُرشت ما بين مدّ البحر واللهِ لمن ينزلها
مثل حصير
غابها ينسج للساحل ثوباً من حرير
وسماها لم تُثقّبها أزاميل الدخان
لم تُدنس شمسَها الخضراءَ نظراتُ خفير
عندما يخرج من مخدعه النجم عليها
فلخيط النور إيقاع خرير

*** * ***

بعد إبحار طويل
حطّ منفيون في أرض جزيرة
قطّروا أنفاسهم في دورق الصبر
لينسوا إنهم أنصاف موتى
فرحوا أنّ سياط السجن
ما عاد لها في ظلمة الليل صفير
واياديهم بلا قيد
من الخفّة
قد توشكُ أن ينمو بها الريش
فتشدو ،
وتطير
أشعلوا نيرانهم

كي يحرقوا الخوفَ
وما زالَ على مائدة الظلمة من خمر الضحى
كوبٌ أخير

*** * ***

نزل المنعتقون اللائذون
بعد أعوام من الحبس على أرض الجزيرة
فرشوا اضلاعهم
واتخذوا منها سرير
وأجالوا نظراً مضطرباً
وابتنوا بيتاً
وبيتين
وحيّاً من بيوت
بعدها قد أدركوا أنّ بأعقابهمو ما زال نير
هربوا من سجنهم
لكنه ما زال في أعماقهم ذاك الأسير
حولهم ماءٌ
وغابٌ
وسماء
إنهُ السجن الكبير

شباط - 1988

2 . ألبيوتُ العتيقة

فواصلُ بينَ البيوت
فواصل مثلُ السواقي
تصبّ سيولُ الفراق بها
فتصير بحارا
ولكنّ تلك البيوت معاً تتآلف
مثل الأصابع في قبضة واحدة
ومثلَ الشموع
تضيءُ بصينية الحبّ
ثمّ تذوب
ويدّاخل الضوء ، والظلّ في بعضه
فتهوي الحواجز ما بينها
وتُصهر في بعضها
وتصبح كلّ البيوت الصغيرة
بعد الذواب ،
وبعد الإضاءة
بيتاً كبيرا

* * *

ومثلَ الفراشات تلك البيوت
تدور على بعضها
فحين يُضاءُ على الأفق بيتٌ

تحط بجانبه
تبادله قبلة الضوء عبر القناع
وحين على الأفق يعتم بيتٌ
تغادر دون وداع

* * *

ألبيوتُ بُطونٌ
بها قد نَمَونا أجنة
وفوق سلالمها كالعصافير طرنا
إلى أن بلغنا النهار
وكانت تخبّيءُ أسرارنا في سراديبها
وتحفظ بعض فضائحنا في جرار
وحين كبرنا
بأعماقنا ظلّ منها جدار
وقفلٌ
نخاف إذا ما كسرناه
تبعُدُ مُنفرطاتٍ
كحبّات عقد بيوتُ الجوار

3 . ألتراشق بالشهب

ما كنت أحلم
غير أن أغدو كطير في الفضاء

طيرٍ بلا ريش وأجنحة
ومن بيتي أحلق
هائماً في شبه حلم
حاملاً لُعَبي إلى زغب الطيور
وإلى النسور التائهات أسرّتي ولحافي
ومن المناجم
أجمع القُبَل الثمينة
ثمّ ألقيها على رأس العريس
وأعين من سيهاجرون على احتمال الشوق ،
أو عبءِ الطريق
وأناشد القتلى
بأن لا يتركوا للوارثين
رصاصة أو بندقية
وأدلّ أقدام اللصوص الجائعين
على مواسير اللصوص المتخمين

*** ***

وأحلم أن أحلق مثل طير
هائم في صُفرة الشمس التي ما زالت الأيام تعصرها
لتوقد زيتها في كلّ بيت
وأحلم أن أوزع قُبلتي
قِطعاً على كلّ الشفاه : بحجم حبّات الرغيف
وإذا ظمئت

فشربتي من كلّ عين
وإذا تعبت
فمن غصون الغاب لي حضن ، ومهدُ

* *

وماذا بعد ذلك طوع أمري ؟
ريحٌ تدقُ عليّ أبوابي
دوماً تظلّ – وإن غفى الحرّاس – ساهرةً
فعيناها بلا أجفان

4 . أسفار

أسفارنا لا تنتهي أبداً
نمضي إلى قمم
فنبسطها لمن من بعدنا يأتون
ونبحث عن سواها من جديد
أظفارنا عبثاً يثلمها الحصى
عبثاً يليّنها الونى
حتى وإن نشبت بألواح الحديد

* * *

نمضي
فلو أجسادنا تعبت
نخلفها ورانا
وإذا التفتنا
ليس نقنع بالذي قطعت خطانا
وإذا علينا الشمس أهوت فأسها
لا نتقيها بالعمى

*** * ***

أسفارنا لا تنتهي
فكأنّ طيّ الغيم دنيانا
حتى إذا مِتنا غداً
ستكمّل المسرى خطايانا

5 ـ أقدارنا على الأرض

خلقنا
لنختبرَ الأرضَ والطرقات
ومن ثمّ نترك خبرتنا لسوانا

ونمضي على طرقات سواها
لنجرح أقدامنا من جديد
كأنّ الرحى قبلُ ما طحنت عظمنا

* * *

خلقنا وكلّ ذراعاه مفتوحتان
إذا ما تهاوى حبيب
سيسقط بينهما
هما ملجأن
وحضنا أمان
وأذرعنا أجنحةٌ
نطير بها عندما يستحيل الهروب على قدمين
وإذ يُشعل الغلّ نيرانه مروحة

6 . ألركض في الأفق المفتوح

أخرج من عفونة القبو إلى الهواء
فتصدم الشمس عيوني
ويدي ترجف تحت المطر
وكل ما أخزن من أسرار

يفكّ مثلي القيد

* *

أخرج للشمس بُعيد العمى
أخرج للفرحة
إذ لمّا يزل يرسب في عينيّ ملح البكاء
أخرج للبُرء كما سنبلة
تنفض عنها بُرّها عاصفةُ الوباء
أخرج للمروج حُراً
بعد أنْ تآكلت
تحت نيوب القيد مني اليدان

* *

ما أجمل الشمس التي تضحك
حتى تمتلي مقلتها بالدمع
أمدّ كفيّ إلى جمرتها
كأنني لم أرها قبلاً
فقد أوشك أن يطفيء عمري الفيء
وعندما تلسعني
أقول : إن حبها صار إلى منتهاه
أحبُها
أحبُها

بالرغم من اني خوف حرّها
أردت أن أذيبها
كقطعة السكّر في المياه .

شباط - 1985

7 . دورةُ الفصول

- 1 -

نحملُ في مسيرة العُمر على أكتافنا
حقائب الفصول
من رحلة
لرحلة
نُفرغُ ما فيها من الجليد
ومن دمانا نحقن الغصن الذي
مات على جذوعه نزفا
ننفخ في الريح التي
أفرغها الركض من الهواء
ومثلما تتخذ الأرواحُ من أجسادها منفى
تختارُ شمسُ عُمرنا لنومها كهفا

- 2 -

يملأ أحضانكِ من ثماره الربيع
وزيتُهُ يسيل من يديكِ
وعندما يرزم للرحيل في صُرّته
الأعشاب والسعفا
تحلّ في ثوبك أسراب السنونو
طمعاً بالماء
والإلفا

- 3 -

ويُقبلُ الشتاءُ
بجبّة صوفيّة
ولحية بيضاء
فتقصف الريحُ على أبوابنا
أضلاعها قصفا
وتنفث المواقد الحمراءُ في صدورنا آهاتها
وتحمل الرُمّانة العجوزُ عبءَ عُمرها
فوقَ غصون تشتكي ضعفا
وقبل أن نهمّ بالوداع
يفجؤنا بظهره المحدّب الخريف
يقول : حان موعد المغادرة
فدورة الحياة قد إكتملت

وآن للشعلة أن تُطفا
لكننا مخافة الفرقة ما زلنا على أبوابه
نعصر كفّ بعضنا بعضاً
كأننا نستقطر الخمر من راحاتنا صِرفا
نسّلقُ الجُذوعَ
كي نقضم من تفاحة
خلف جَدّانا لنا من لبّها نصفا

- 4 -

لا تحزني حبيبتي
فعُمرنا لا ينتهي
وإننا نبدأ من حيث انتهى الخريف
تُثمر في أعماقنا أشجارنا
فنقطف الأثمار من أفواهنا قطفا

8. راعية الأنهار

من ذا يقدّمني للنهور صديقاً
أؤانسها في الرحيل الطويل
مخافة أن يعقل الحبل ـ حبل الملالة ـ كاهلها
وحين تحنّ لهزْل الطفولة

أفجؤها خارجاً من ثقوب الجذوع
وحين تنام
أحرّرها من قيود الحشائش
كي تتنفس ملءَ الضلوع

*** ***

ألنهورُ التي
هي من قِصر كحبال الغسيل
أعلق ثوبي عليها ، فيبتلّ مثل النوارس
نهورٌ كثار
تشبّ وتخفت حول القرى
كما أومضت في يديّ العروس المحابس
نهور كثار
تَدَافَعُ من كلّ صوب
كما يتدافع بعد انتهاء الدوام
صغار المدارس

9. رحلة إلى المجهول

ننظر للمستقبل عبر الماضي
نظرتنا للوردة عبر الشوكِ
نصغي لصدى يتعالى منا
بالرغم من المسمار المطروق على الفكّ

وكذلك تطلع أزهار يقيني
من محرقة الشكّ

*** ***

نغسل ما يعلق بالوردة من طين
نيأس أحياناً
بل نشعر بالطعنة في الجنبين
ونمدّ أيادينا نحو خواصرنا
لكن لا نجد السكين

10 . محاولاتٌ لاجتياز حدودِ الوهم

لمّا تبدأ بعدُ حياتي
بالرغم من اني أدركتُ قرابةَ ثلث الدرب
سأحاول – بعد الطَّوفِ على سطح الأمواج –
أغوصُ إلى القيعان
وأحاول أن أثقبُ جمجمتي
وأمرّر في ظلمتها الشمس
وسأنزف حتى تفقد ساقي قدرة أن تحملني

*** * ***

وأحاول تطويع أصابع كفي

فإذا شُدّت
لا تُعقدُ مثلَ حبال
وإذا ضُغطتْ لا تتكسّر
لستُ أخمّن نصراً
لكني سأحاوله
سيفي مشحوذ
وعيوني تُبرقُ كالسبطانة

* * *

لستُ أخمّن مجداً
أتيبّسُ كالفزاعة في الحقل
وأسمح للأسراب تنقّرُ فروةَ رأسي

* * *

سأغامر
مكتشفاً أسرار الغاب
أغرفُ من سبخٍ ماءً عذبا
أسكن بيتاً محترِقاً
فأنام
وأغفو
سأحاول أن أغرق مركبتي في اليمّ
وأنطرها في الضفة الأخرى

فإذا سلمت
فسأمخرُ ثانيةً في بحر من تيزاب
وإذا غرقتْ
فالموت ختامُ عناءِ المعلول

*   *   *

سأبارزُ بالدبّوس طواحين العتمة
فإذا اختتمت بالنصر حروبي
فسأركز ساقيّ بعينيّ التنين
وتدوّي قهقهتي
حتى لأشكّ بأني أبلع نمرا
أما إن أخفقتُ
فسأبقى أشحذ طول العُمر سكاكيني
حتى ينطق معدنها : هذا يكفي

نيسان - 1985

11 . مدينتان

- 1 -

مدينة خلف زجاج معتم
تحجبها سحابة سوداء

حجارها فحم
ونهرها قارٌ
والشمس في حقولها
تدرج كالعمياء
لكنّ نجماً ناصعاً
يلمع من فرحته
في عتمة السماء

- 2 -

مدينة بيضاء
ألقى على أسوارها فروته الشتاء
بيوتها
هيهات من نصاعة
يسترها غطاء
لكنّ في جحورها
تفرخ أفعى الداء

- 3 -

مدينتان
تباعد الأضغان ما بينهما
أضعاف ما يقرّب الصفاء
والناس ما بينهما – في حيرة –

12 . معارك زائفة

أباغت نفسيَ حين أنام
فأفزع أشباح أحلامها
أطاردها في الهواء
فأؤسِر بعضاً
وأصرع بعضاً
وأركز عظم الضحايا
ليرجع من هربوا باللواء

* * *

ولكنني حين أطفيء جمرة عيني
في القطن
بعد اصطلاء
تعودُ
لتسخر أشباح نومي
من إحتمائي بثقل الغطاء

13 . ألمكوث في الجحيم

هربتُ مرّتين من هذا الوطن
وبعد كلّ رحلة
كنتُ أعودُ حاملاً قلبي على ظهري
فأفرغ الضحك من الحقائب الثقال
كي أملأها بالدموع
مكتفياً من فرحة الدنيا بطفل ضاحك
وامرأة تؤكل بالخبز مع الضياء

*** ***

هربتُ مرّتين
لكنني ملتفتاً ظللت طول الدرب للوراء
كأنما عيناي في ظهري
وكان دمعي كلما أسكتُهُ بغمضة
أسمعه يصرخ من حلقي
فلو أنا زممت حلقي
تغتدي في جسدي كلّ مساماتي لهُ أفواه

*** ***

وبعد أن أخفقت في الرحيل
أدركت أني عبثاً أصارع العاصفة
محطماً بعظميَ الطريّ أسواراً من الحديد

لذاك قررت بأن أبقى هنا
في باطن التنور
أعجن من لحمي رغيفي
قانعاً من الجحيم كله
بكُسرة الكفاف

14 . قصة إنسان

من قبل أن يأتي إلى سومر ذاك الرجل الوقور
وينسج السقوف من طريّة الجذور
ويعجن الدقيق
بالملح الذي يرشح من جبينه
ويسجر التنور
كان هناك والدي
يلفّ سيجارته من أردأ التبوغ
وفي خبايا حلمه
يبتكر السرور

* * *

وكان خلف البيت صيّاد بلا طريدة
يرى إلى ظلاله
ملسوعة تروغ من حرارة الهجير
فيطعن الظلال ظناً

إنها لو طُعنت تعجز أن تطير
لكنه يعود من رحلته
ملطخاً بالدم والأوحال
منحنياً كقوسه الكسير
فنسهر الليل ملوّحين للبدر الذي
لكم تمنينا بأن يسقط دون طعنة
ميْتاً على الحصير

* * *

إبتدأت حكاية الإنسان في الأرض
من البيوت والجيران
ومن ظلال رخوةٍ
تُمزج بالضوء لكي تُزيّن الجدران
من مكمن الوحوش للوحوش في الوديان
من مَنقع الحنطة في القدور
من أضعف الحدود بين الذلّ والغرور
حتى ارتقى أبي إلى الجبال
متخذاً أحجارها رحى
بها يطحن من سنابل الحديد
أرغفة
يمضغها الجائعُ
أو تدور (كالتروس) في مكائن التبريد
فأصبحت في كلّ سبق منه راحتان

عنيدتان مثلما تصميمه العنيد
أولاهما لإبنه
والراحة الأخرى الأشدُ راحةُ الحفيد

15 . ليس للدروب أمّان

تقتادني نظراتها
كالطفل في ملاعب الجسد
تدفعني مثلَ شراع تائه
فوق بحار من زبد
تضغط أنملي على براعم
تُمرعُ في ارتعاشة البَرَد
وفي السهول تسرح القطعان
تغوص في الأحراج
أو تشرب من ضوء القمر
تجزّ من أصوافها عوسجةُ الجوع
لكي تنسج منها بردة على مقاسات النهر
وهكذا
في أبحر من عسل
يموت من ظمأته السفّان
وتحت أمطار العيون السود طيرٌ تائه
يبحث عن أمان

* * *

تجلسُ في اللبّ
ولكن همسها يهدهد الأكوان
وفي بحار عطرها
يحلق السكران والصاحي معاً
لفوهة البركان
يا نائماً إصحَ على غُيَيمَةَ الشَهد
فما للغيم أو للشهد من أمان
لكنني من دون أن أنوي على المغادرة
تصير لي في قدمي عينان

* * *

تسلبني ما بيدي بنظرة
ثمّ بأخرى مثلها
تمنحني الكمال
نسير في الأرض معاً
لكنما أقدامنا تناطح الجبال

16 . ألوصول إلى اليابسة

بحارُكِ الصخابة ُالأمواج
ممتدّة ٌعلى شواطي الروح
أهيم في أهوالها
مؤملاً جوعي بما في القاع من أسرار
مستمتعاً بصحبة الحيتان والإعصار
لكنني أخفق في تبيّن الطريق
فساحرات الريح
قد مَسَخن قطعان المويجات
إلى أحجار
أخفق في الوصول لليابسة
كأنني أخبط تحت القار
اصارع الخوفَ الذي
يسحبني من عنقي بحبله الحديد
أرى يدي
تُخرجُ ما أخفيه في جوفيَ للتيار
وفوق رأسي شَحِبتْ
مَنضُودة ًفي حبلها الأقمار

*** * ***

أطيافك التي تشفّ من رطوبة الأوجاع
تنأى
وفي شاطيء أهدابك أحمالي
عادت بها مويجة الدموع من مراكب

قد غرقت في القاع

17 . تجربة عبور فاشلة

أتردّد أن أعبر هذا النهر الهاديء
لم يكن النهر عميقاً
والأمواجُ مهادنة
فالأشباح تغوص الى هامتها في الوحل
والقمر الطالع من بين أصابعنا
يتأرجح في الموجة
والأسماك المحبوسة في الطين
تستدرج بالأعشاب شباك الصيّاد

* *

هل أعبر ؟
أم أمكث ؟
أم أسحب أمواج النهر على جسدي كلحاف
ثمّ أنام ؟
هل أرجع للبيت ؟
أم أبتر رجليَ كي أغرسها في الطمي ؟
هل أتراجع ؟
والأمواجُ مهادنةٌ

والبَرَدُ على الموجة يلقي معطفه
وشِباك الغيمة ممتلئات بالصحوِ
وهدوء الريح يحرّضني
أن أطلق ساقي من أسر السروال

*** ***

أتردّد
والنهر الضيّقُ
يتسع ليغمر ميراث الموتى
أو يثقب أحداق الأحياء
ويعيد صياغة أفراحِ من بلور
تتكسّر فوق حجارة أضلعنا

*** ***

أتردّد أن أعبر
فالأنهار المنسلة مثل خيوط الغزل
تتلاقى شرقاً أو غربا
كي تنسج للأرض العارية ثياباً

إستراحة محارب

فجأة
أحسست عينيَ تجمد
فوق وسادة قطن
ويهدل رأسيَ كالوردة الذابلة
وتُشبع جوع دمي حفنة من تراب
ويملأ أكماميَ الخلقات الظلام بأنجمه المطفاة
وتهرب روحي عبر فتوق جفوني
فجأة .. فجأة
أحسست اني أموت

* *

أحسست قلبي
ينفر خلة نسج حديد
وحشد طيور ينقّر رأسي
وكفاً تحطم كأسي قبل ملامسة الشفتين
وحولي تضيق حبال الدخان

* *

حاولت أن أستغيث
ولكنّ ملء فمي حجر وتراب

* *

حاولت رفع السقوف التي قد تهاوت عليّ
ولكنني كنت أنفث سمّي بقلبي

* *

حاولت أن أستمدّ من الصرخات مطارق
تكسر أسنانيَ المطبقة
ولكنني كنت أدخل زنزانتي
طائعاً
خانعاً
راضيا

* *

وحاولت أن أستقيم
ولكنني كنت أحني إلى قبضة الموت رأسي
فجأة .. فجأة
أغلقت صندوق روحي
وألقيت مفتاحها في الخضمّ

* *

وما هي إلا ارتعاشة مَيْتٍ
حتى وأحسست اني
من حيث أغلقت بابي أفتحها
ولم يك موتي سوى سكتة
وثمّ انتبهت
إلى إنني بعدها
سأواصل عزف غنائي على أضلعي من جديد

إدانات

1 . ألزيف

لا نبخس إلا أنفسنا
إذ ندعوا المجنون حكيماً
وننام وقوفاً
كي يجلس في الصف الأوّل
ونزيد له في الودّ
على قدَر التقتير على العقلاء

*** ***

ما أجحف أن ندعوا المجنون حكيماً
ونقلده أوسمة العرفان
ونهشّ له
إكراماً لملائكة تطّاير كالبقّ على كتفيه
ونردّد كالحكمة
ما يلفظ من زبد وبصاق
وعلى أوجهنا
نلصق صورته بغراء

*** ***

لا نبخس من أحد
إذ ندعوا المجنون حكيماً
بل نفضح ما فينا من بذرات جنون

2_ . ألرجال المجهولون

أقابلهم في الطريق
ولكنهم يدخلون إلى جسدي
وينتشرون به
بادئين برأسي حتى القدم
وجوهاً مموّهة كالغيوم
وأردية
هي ما خلفته من الجثث الطعنات
ولكنهم يثقبون الظلام
ويسّربون إلى داخلي
وحين أغادر أوجههم يملأون تجاويف عظمي
كأنهمو بعدُ ما أعلنوا نصرهم
وما زال مدفعهم مدوياً في سكينة قلبي
وأعينهم تتلامع في ظلمات حشاي

* *

ألرجال العميقون
والمبهمون
ألذين تنقّر فيهم طيور الظلام
فلا ينبسون
ويبكون دون عيون

لقد خرجوا من بحيرة حبر
وما خلفوا غير ذكرى
وكانوا يمدّون إيماننا بمراوح من لهب
ولكنهم رحلوا
تاركين خطايا أزاميلهم
تركوا كنزهم عُرضة للصوص
رحلوا عن حياة بدون شموع
ليحترقوا
وينيروا الطريق

3 . ألخارجون من الغاب

1 -

في البدء إلتهموا التراب
مضغوا الرماد
لحسوا الحصى
في البدء هم دلّوا السلال
ليقطعوا بنيوبهم جسد القمر

- 2

سرعان ماااكتشفوا بأنّ الصخر
لا يجدي لجلسات السمر
وترابهم
ورمادهم
مهما همُ التهموا ستغسله صوابين المطر
بحثوا
فقاد الجوعُ دودَهمو إلى مدن الثمر

- 3

أليوم هم لا يستسيغون الحجار
ولا الرماد
ولا الثمر
أليوم هم في غابنا البشريّ
يمتضعون أكباد البشر

4 . عالم السحرة

عالَمٌ تغلي به الروحُ على قِدر الضلال
نصفُهُ منسحبٌ
من كَبِدِ الشمس إلى صَدْعِ الزوال

كلّ من فيه عن الأصل تخلى
مُمْسِكاً ثلمَ الفروع
فلقد نخّرتِ النارُ بأكباد البشر
دون أن تُبقي لمن يزرع في الغاب ثمر
عالم ليس به يسمعُ من يمشي على الأكباد
أناتِ استغاثة
بينما يُطربُهُ صمتُ الحجر
عالم تُوهَمُ فيه الروحُ بالدفءِ
ويستعصي على العين الوضوح
قدمٌ تسعى
وإذْ تعصف ريحٌ
تنتهي مقلوبةً وسط الجحيم
وفقاعاتٌ هيَ الأوجُهُ من بعدِ حريق
يقتفي خطوتَنا الموتُ
ونقفو أثرَهْ
عالمُ السحر الذي نخشى
به – من حيث لا ندري – نكونُ السّحَرَةْ

5 . منفاخُ الفقاعات

خارجةً تَقافزُ الرؤوسُ من أجهزة المذياع
عيونُها محابرٌ

تسكبُ فوقَ كلّ ما تُبصرُ بقعةً من الأحبار
تخرج أقدامٌ ، ومن ورائها
تجرّ بالحبال أجسادها
يخرج أعداؤنا
لكنهم قبل دخول غرفة الضيوف
يعلقون الظفرَ والأنيابَ عند الباب
يخرج أصدقاؤنا
بأوجه ساحرة
لكنها أقنعة

*** * ***

تخرج أفواج من الطبول والأبواق
كأنها القدور ، في نحاسها
يُطبخ من طماطة الكذب حساء الهواء

*** * ***

يخرج بالنعوش أمواتُ المغنين
وفي أفواههم ألسنة
تفحّ كالصلال

*** * ***

يخرج قادة ، ومن خوذاتهم
يصّاعدُ الدخان
يخرج مُقتادونَ
في ضحكاتهم
صليلُ قيدٍ حديد
وثائرون نقعوا رؤوسَهم في دورق التيزاب
وكاذبون
ينسجون من لعابهم
أثوابَنا الشفيفةَ
أولئك الأغرابُ والأصحابُ ليسوا بالضيوف عندنا
بل نحن أضيافهم
فقد تركنا البيت يحرقونه
من أجل أن يدخنوا السيكار

*   *   *

تصرخ في برودة السلك جموع غاضبة
تصرخ : إن لم ترفعوا أغطية المذياع كي نخرج للهواء
فإننا سنطلق النار على السامعين

*   *   *

تقفز من أغطية النوم إلى الفرن شعوب حالمة
تطلق من أبواقها أحشاءها
تقرع بالطبول
حتى تقفز العيون من محاجر النائمين
وكل ما يفسد في أحشائها من الأسى
تحيله بنفخة المزمار ألحاناً من العسل

* * *

وعندما تنقطع الكهرباء
ويجمد الظلام في العيون مثل دمعة من قار
ينقطع الحبل الذي تشدّه الجموع
كي تمشي على الهواء
تحتار في الظلمة
كيف تحفظ الكذب الذي يُفسده الضياء ؟
بودّها
لو تطلق النار على أنفسها
أو تطلق النار على المذياع
أو تطلق النار على من يتحدّى الكذب بالإصغاء
أو تطلق النار على الكلّ معاً
موقفة طاحونة اللغاء

6 . أصدقاء الخرائب

دافعوا عن حقوق الكلاب
إنها لتئنّ بدونكمو تحت سوط النجوم
إحملوها إلى الدفء
مثل الصغار الذين ينامون تحت معاطفكم
إلحسوها إذا ما صَحَتْ
لتلحسكم عندما تهجعون
إن نظراتها لتذكّرني
بالنقود التي تتساقط كانت بأفواهكم
لقد رافقتكم مسيرة عُمر
ولكنكم بعتم اليوم تاريخكم
واشتريتم بواخر أو طائرات
ومن خلفكم صوت أصحابكم ينبح الذكريات

* *

دافعوا عن حقوق الكلاب
لقد جمعتكم معاً خربة وقمامة
وكانت تجرّ زلاجاتكم فوق ثلج المذلة
ولكنها في مزابلكم تنبشُ اليوم عن ذكريات

* *

ألبسوها الحرير الذي تلبسون
أجلسوها الصدارة فوق موائد اسلابكم
سلموها مفاتيح قاصاتكم لتبول

ولا تتركوا الجوع يدفعها للغريب
طالبوا بالمزيد لها من حقوق النُباح
ونقل وباء الكَلَب
أخرجوا في تظاهرة
واحرقوا العجلات
لكي يَدرُسَ النشأ فنَ التغوّط في الجامعات
ومن أجل أن تتساوى
مع الناس في السلطة السائبات

ألمنافي

لمّا تعد في الجزر النائية المنافي
وفي قلاع الصخر فوق الجبال
ولم يعد منفى وراء الحدود
تفصله فوّهة المدفع عنا
وسرايا الجنود
ثَمّ مناف غيرها
قد تسع العينين واللسان
أبراجها تتبع من يمشون كالظلّ
فلا تعيقها موانع الزمان
سقوفها زجاجٌ
وأرضها
والباب
والجدران
فكلّ من يرى إلى سكّانهِا
يرى نزيف الدم لكن لا يرى السكين
وقد يرى من فميَ الصارخ أحشائي
ولا يصغي إلى الأنين

ألمنافسة

أقدامٌ راكضةٌ حولي
وحناجرُ هاتفةٌ
وعيونٌ تعصِرُ نظرتها في الأفق كإسفنجة
وقلوبٌ كمطارقَ
تنبض طيّ أضالعَ من ورق الكارتون
ولهاثٌ يتجمّع من حشد الأفواه
فيغدو إعصاراً
وغيومٌ
تُغرقُ في أمطار العرق الراشح
مَن يعدون بدون مظلة

وحدي بهدوءٍ
أعدو في أخرة الشوط
لا تطرحني الكتف الأقوى في النقالة

* *

أتنقل من حيّ النوم لأحياء اليقظة
ومن الغفلة للحذر المحسوب
وأحرّف خطواتي عن أرصفة الشكّ
لكني في بلد الحكمة لا أسأل عن غاياتي
فهنالك ألواح دلالة
وسأبقى ممتناً للفانوس

لولاه لكسّرتُ الظلمةَ بالإزميل

*** ***

أقدامٌ متعثرةٌ
وتلالٌ من أحذيةٍ
تصّاعدُ منها أبخرةٌ كانت أقداماً
راياتٌ خافقة من (قمصانٍ) مثقوبة
وعلى أرصفة الدنيا
ترتاح شعوب قد تركت مثلي السَبق

ألقاتل وأبناؤه

لا تسحق أطفالك
لا تأكلهم بأصابعك المصنوعة من أمواس حلاقة
وإذا جئت إلى غرفتهم

فاخلع أسنانك عند الأبواب

* *

حاذر أن تنثر تحت أسرّتهم أكوام دبابيس
أكتم غيضك ضدّ أناملهم
فهي تضيء من الطهر
ضدّ نصاعة ضحكتهم
ضحكتهم ليس ترشّ الملح على الجرح
حاذر أن تسخر من طيبتهم
فنيوبك صفّ مسامير
حاذر أن تكشف ما تضمر من حُبّ
فالقلب – كما لا تعلم – غربال

* *

وإذا جاء العيد
وأتوك كنحلات
خُدعت بالسُمّ فظنتهُ رحيق
فاحذر أن تسحب من قلبك صمام أمان
فضلوعك ممتلئات بالقيح
حاذر أن تحضنهم
فالأفعى ليس تجيد التقبيل

في مواجهة الوباء

نفتحُ أبوابَنا للوباء
ونتركُهُ يتلصّصُ عبرَ نوافذنا
حيث ننسج أثوابَ أسرارنا من خيوط العَمَاء
ونفتحُ صندوقَ أضلاعنا
ليذرّ قمامته بين أسناننا
ونسلم أجفاننا المرهَقات لثقل اغطاء

* * *

نرهبُ وحشَ الوباء
نرهبُهُ حدّ أن نغمضَ المقلتين
ونلقي بأنفسنا في صحون الحساء
ونغضي إذا هو حدّق فينا
ونملأ بالقطن أذاننا حين نسمع صوت عواء

* * *

نخاف الوباء
وما يتقطّر من فمه من غراء
وبالرغم من إننا متخمون لأفواهنا
بالسكاكين والأعتدة
وإنّ حرائقنا إذ تطيش تسدّ الكواء
وتصهر مزلاج قلعته
وتحشر عبر مزاغله الضيّقات اللواء
لكننا نتردّدُ أن نبتدي بالهجوم
فنمنحه فرصة الإبتداء

* * *

نخاف الوباء
ولا نتجرّأ – حين يباغتنا – أن نقاومه
بل ليس نجرأ في غفلة منه للإنقضاض
فنُخفض أعناقنا تحت دَوْسِ الخيول المراض
ونفرش للساقطين الأسرّة
منقوعة بسموم البياض

غناء بصوت عال

أغني
بأعلى الذي كنت أسطيعُهُ من صُراخ
حتى لتوشك – من رجّة الأرض –
أن تحتويني الشقوق
دمي يتدفق ملءَ فمي
وقلبي يُقرع
حتى لأسمع صوت انكسار الضلوع

*** ***

وما كنت أسطيع إرجاعَ صوتي لحنجرتي
وإطلاقه هادئا من جديد
لأن النمورَ الحبيسة في سجن حلقي
لا ترتضي أن أروّضها

*** ***

بأعلى الذي كنت أسطيعه من صراخ أغني
وكنت أحار
لماذا إذن لا يُنبّه صوتي أحد ؟
كأني أغنّي بداخل كيس
فكلّ الذين يمرّون بي ليس يلتفتون

ولا يرفعون مظلاتهم عندما يسمعون الرعود
وليس يلوذون خلف المتاريس خوف المدافع
وبالرغم من ان صوتي
كان يهشم ضرسي بمطرقة
ولكنني في الحقيقة كنت أغني لنفسي
وأصرخ داخل بطني
فقد كنت أغلقت حلقي بقفل

صرخة في هاوية

قال لي (وهو يوميء للهاوية)
ـ إياك أن تتقدّم
إنّ الزلازل تسكب نيرانها

فوق من يكسرون نوافذها
وتلقي ثياب العمى الريح
فوق الذين ينامون فوق أسرّتها
وإنّ غصوناً ستعصر روحك
في أكؤس من رخام

*** ***

قال لي : (لا تسِر نحو موتك)
لكنني كنت أدرك
أني إذا ما استكنتُ
ستقفز بي غضبة متوارية للأمام
ولا يملك النصحُ لجم شياطينيَ الهائجة

*** ***

وكان صدى صاحبي يتردّد في أذني أن أعود
ومقلته في الرياح تحلق مثل فقاعة
ولكنني ما رجعتُ
وبالرغم من إنني جاهل
بالذي سيواجهني في ختام الطريق
وأدري بأني لا بدّ يوماً أموت
ولكنني قد بَعُدتُ
إلى حدّ أن لم أعد أنا أسمعُ صوتَ صديقي
بعُدتُ

بعُدتُ
إلى حدّ أنْ لم أعد أنا أسمع صوتي

كأسٌ أخرى من الدموع

إلى عبد القادر العزاوي

- 1 -

تحتسي من خمرك المرّ ، فتصحو
وعلى جنبك من يحسو من الشهد فيسكر
وعلى أرصفة الأوحال تسعى
خطوة تمشي
وأخرى تتعثر
شاعراً كنت ، ولكن
كانت الأحزان أشعر

- 2 -

جئت في الليل بها نحو الطبيب
رأسها كان كبندول على كتفك ملقى
لم يكن في جيبك المثقوب فلس
تحت خطواتك كانت عتبات السلم الممتد
رمساً فوق رمس

وعلى جفنيك للدمع دويّ
كدويّ الموج محطوماً بمرفأ
كنت تختضّ من البرد
ومن وجنتها المحمومة الحمراء ليلاً تتدفأ

- 3 -

هل ترانا نلتقي ؟
أنت لم تترك على بابي عنواناً
وما ودّعتني
نادل الحان يحييني بحزن
فأفاعي اليأس قد تفقس في القلب صلالا
ـ مات عبد القادر اليوم ، ولكني أراه
من وراء الكأس يدعوني " تعالا "

قصيدة عن الحقد

بعد اليُتم تبناني الحقدُ
فوقعت أسيرَ أصابعه الدبقة
لم يترك قدميّ إلى التيه تزلان

لم يمزج ألوان عيوني
في عُلب الألوان
أطعمني الأحجار فلم تتكسّر أسناني
أسكن قلبي عشّاً من أشواك ومسامير
وعلى رأسي
نسجت كفاهُ من ديدان القبر التيجان

* * *

هل أرفضه ؟
وبأيّ عقوق
أطفيْ ما أضرم في ثوبيَ من نيران ؟
وأنا بمنابعه
كنت غسلت من الدمع مناديلي
وبنار مشاعله استهديت لبيت الثعبان
أم هل أنسى إذ كنتُ بلا إسم
أعطاني اسماء بنيه ،
وكناني خِلاً
فمضيتُ أسابق دودَ الغابات إلى الأغصان

* * *

لكني في بدءِ ربيع
احسستُ بأعضائي تذبل
والقمر الأخضر من يبس تنخرُهُ الديدان

وبأني اغطسُ في الوحل إلى كتفي
وكفانوس ينفد منه الزيتُ
تخبو عيني
حتى تُطفئها ريح الخسران
فرجعتُ إلى الحقد أطالبه
أن يعتق قلبي من شبكات الخيطان
ويزيلَ دماملهُ عن عيني
ورجعتُ إلى نفسي
أبنيها نبضاً نبضاً
وأحوّطها بسياج التَحنان

* * *

ورأيتُ الحقدَ كجنديّ مهزوم
يترك بيتي
مهموماً أن يفقدَ رشاشته في الميدان

نوافذ

نوافذ
لا صدأ الحديد فيها يمنع الهواء
لا ينخر السوس بها الضياء

* *

نوافذ
على امتداد الدرب ، لا تنتهي
أما إذا ما انتهت البيوت
وفي الخلاء
نفّخ الليل الظلام الكثيف
نوافذ تبقى على الجانبين
كأنها اللوحات في معارض الرصيف

* *

نوافذ تُفضحُ
بالرغم من الأستار
نوافذ
للرصد قد طوّقت الصباح في إطار
ومثلها نوافذ هناك للقلوب
والعيون
والوجوه
والأدبار
فكيف في أعماقنا
نأمن أن نستودع الأسرار ؟

ملك بلا رعايا

كنت مليكاً
والناس جميعاً يحتفلون بعيدي
ويهشّون على قطعاني
وثماري في كلّ سلال
للمُرّة منها في الأفواه مَذاقٌ حلو
أمضي مثل النائم
يبحر في موج من سُحُبٍ
فغرفتُ بكفيّ كنوز القيعانِ
وحملت على كتفي صحراء الربعِ الخالي
كثباناً ،
خيماتٍ ،
وأهلةً
لكني لم أدرك أن عروشي
كانت تغرق في أبار دم
حفرتها من قبلُ معاولُ اجدادي
ونعاجي ترعى بين الذؤبان
وبأنّ كنوزي
رغوةُ صابون
فرعاياي انفضّوا من حولي

وبقيتُ كأوتادٍ
طوّحها إعصار الوهم
لا يؤنسني إلا وجهي
مرسوماً في سطح اليم
فأذبت فؤادي في كأسي
ثم سكرت بجرعة سُم

إستغاثة السنين

كلما أوشكت أنسى
رنّ في قلبيَ ناقوسٌ قديم
حرّفت رأسي إلى الخلف استغاثات السنين

* * *

كلما أوشكت أغفو
حفرت رأسي أزاميل السكون

* * *

كيف أنسى ؟
جسدي ليس صدى
ينفتّ في موج الأنين

قبضتي واهية
وفؤوسي ليس تجتثّ من الغابات إلا أضلعي

*** * ***

أيها الحزن
لماذا لصقت وجهكَ في وجهيَ بالصمغِ السنون ؟
ولماذا
كلما أوشكت النيران أن تخمد
غذتها الظنون ؟
نحن ما زلنا على طاولة النسيان
طفلين معاً
نكترع الفرحةَ من دمع هتون

أخطاء الجسد

1 . ألانسان الأخضر

هل يمكنني أن أتحوّل وردة ؟
ذلك يبقى حلمي
وسؤال حياتيَ من دون إجابة
كيف لعنقيَ أن يصبح غصناً ؟
وشعيرات الصدر وريقات ؟
كيف لهدبي
أن يتحوّل – إذ – أغمض عينيّ مياسمَ ؟
أو كيف لفكّيَ
أن يغدو الكأس ؟
كيف لهذي الشفة الظمأى
أن تصبح بعد الريّ تويجاً ؟
وغبارُ الطلع يلقحُ شعراتِ الرأس

* *

كيف لظهريَ أن يصبح جذعاً ؟
وحذائي جذراً ؟
لا يمكنني .. لايمكنني أن أصبح وردة
لكني أتمثّل طبعَ الغرس
أتطيّب بالغيم
وأغسل وجهي بصوابين الشمس
فأحسّ بأن الأنساغ الملحيّة

تصعد في بدني
وبأنّ دماً أخضر ينبض في صدري
وبأني أنمو كي أصبح وردة
أو إنساناً من سوق ولحاء
ينمو غير مبال
أن تبترَ قامتهُ فأس

2 . إستراحة محارب

فجأة
أحسست عينيَ تجمد
فوق وسادة قطن
ويهدل رأسيَ كالوردة الذابلة
وتُشبع جوع دمي حفنة من تراب
ويملأ أكماميَ الخلقات الظلام بأنجمه المطفاة
وتهرب روحي عبر فتوق جفوني
فجأة .. فجأة
أحسست اني أموت

* *

أحسست قلبي
ينفر خلة نسج حديد

وحشد طيور ينقّر رأسي
وكفاً تحطمِ كأسي قبل ملامسة الشفتين
وحولي تضيق حبال الدخان

*** ***

حاولت أن أستغيث
ولكنّ ملء فمي حجر وتراب

*** ***

حاولت رفعِ السقوف التي قد تهاوت عليّ
ولكنني كنت أنفث سمّي بقلبي

*** ***

حاولت أن أستمدّ من الصرخات مطارق
تكسر أسنانيَ المطبقة
ولكنني كنت أدخل زنزانتي
طائعاً
خانعاً
راضيا

*** ***

وحاولت أن أستقيم
ولكنني كنت أحني إلى قبضة الموت رأسي
فجأة .. فجأة
أغلقت صندوق روحي
وألقيت مفتاحها في الخضمّ

* *

وما هي إلا ارتعاشة مَيْتٍ
حتى وأحسست اني
من حيث أغلقت بابي أفتحها
ولم يك موتي سوى سكتة
وثمّ انتبهت
إلى إنني بعدها
سأواصل عزف غنائي على أضلعي من جديد

3 . ألاجسادُ القبورُ

إنها أجسادنا
أثمن ما نحن ورثنا
غير ان الغلّ في أوداجنا
حوّلها محض مزابل

* *

اهربوا منـها
ففيها أنتمُ يوماً حبستم دودة الحقد
فصارت تحت سوط الجوع ذئبا
وبها يوماً غرستم بذرة الالام
حتى انتشر الطاعون منـها في البشر
أطلقوا عبر المسامات حمامات الـهوى
أنقذوا أحلامكم من أعين
أهدابـها مثل خيوط العنكبوت
حرّروا ألحانكم
فالموت لا يعفي البلابل

* *

إنـها أجسادكم
كانت حقولاً
غير إن السمّ في أنيابكم
قد حوّل العشب قبوراً
ولقد كانت لكم بيتاً
ولكن صرتمو تحيون فيـها غرباء
من ترى أيقظ وحش الجوع فيـها ؟
من ترى عبّأ في أعظمـها أعتدة الفتك ؟
ومن أبعدها تحت سقوف من حديد

عن عصافير النـهار ؟

* *

هي أجسادٌ من الماس ، ولكن
نحن ألقينا إلى الفحم بها ليلاً
فصارت فحمة تحت الركام

4_ . في تجربـة الخطأ

لا تعدني إلى جسدي
عدوان نحن نعيش معاً
وما بيننا
ثأر من خرجوا سالمين من المذبحة
دعني أواصلْ رحيلي في الضوء
وأطلقْ إلى الأفق روحي
كسهم بدون طريدة

* *

وإياك .. إياك دعوة صوتي
ليرجع في ذلة نحو جنجرتي

* *

وإياك .. إياك
تلقي شباكك نحو السماء
لتصطاد روحي
وتسكنها جسداً ميتاً
جسداً مثل قبر
بلا نافذة

* *

صديقي
نحن ضحكنا معاً
وبكينا معاً
وندمنا على خطأ ما اقترفناه يوما
ونحن فتحنا صناديق أجسادنا
وعبثنا بأحجارها الذهبية
حتى مللنا من اللمعان
وكنا نحسّ بأنّ تهربنا من صغار الخطايا
سيُسقطنا في الخطايا العظام

* *

وبعد الملالة
ها نحن نبدأ عمراً جديداً

فنفتح أبواب أجسادنا
ونلقي مفاتيحها للغريب
ونغني تجارب أرواحنا من كنوز الخطأ
أيلول - 1989

5 . قبوُ الأشباح

جسمي أنا مجوّفٌ كالأبنية
وفيهِ ثمّ منفذ للضوء
ومنفذٌ سواهُ ألقي حسرتي منهُ إلى السماء
كي تعودَ لي ضعفين
وفيه غرفةٌ عليا
بها سكبتُ أحبابيَ في دوارقٍ من ماس
وغرفةٌ سفلى
بها حَشَوتُ الجنّ والأشباح في أكياس

* * *

جسمي أنا منازلٌ
أسكنها كالغريب
أدخل من أبوابها
فتهرب السقوف والجدران
تدفعني الظلمة نحو القاع

رابطة في قدمي ثقلاً من الحديد
أحار أين أحتمي من رشقات الرصاص
عناكبُ الداء تسدّ الثقوب
والطرق السوداءُ تدّاخلُ بعضها ببعض
مثلما تدّاخل الأذرعُ في عِراك
في جسدي خرائطٌ قد مُزقتْ
ولُصّقتْ بدونما اعتناء
فوسّعتْ في الجسد النحيل من جغرافيا الألم
فلتُدخلوا عيونكم في جسدي
لتُبصروني أصرع الوحش بقرصين من الدواء
أقرع أبوابي فلا تُفتح لي
وأنتقي من صُحبتي
أضلّ ما في الليل من نجوم

6 . فقدان حنجرة

عندما كنت أمشي وحيداً
سقطت – دون أن أتنبّه – مني حنجرتي
فهشّ بها رجل كان يمشي ورائي
وعاد لمطبخه فرحاً
وهو يحملها مع كيس الخضار

* *

زيّتها
وأفرغ ما في تجاويفها من صدى
ودوزن أوتارها
ونقّرها مثل طبل
ليسمع لحن أصابعه
ونقّعها بمياه قصائده البائرة
ومن ثمّ علقها فوق حبل الغسيل
ليقطر ما شربت من غناء
وحين اطمأنّ إليها
أخلى لها موقعاً بين أنيابه واللهاة
وأوثقها مثل كلب بسلسلة
وأطلق إسماً عليها
لكي لا تضيع

ألّلعب على طاولة الشمس

1 . ألشمسُ السوداء

انت كالوحش على أعناقنا
أنت كالحمّى على أنفاسنا
ترفعين الشاش عن جرح السنين
يتعب القنديل من شعلته
ومن العتمة لا .. لا تتعبين

* * *

إن تريدي الصفوَ يوماً
فانفضي عن جثث الأموات أكياسَ الغبار
واشهري إشعاعك الرخو سيوفاً
عندما تُغمدُ باسم الحقّ تصّلبُ
حتى يغتدي النور حجار
واجعلي من ثوبك المرقوع بيتاً
تحته يغتسل اللائذ بالعشب
وفي أكوُسه
يسكب نجمات النهار

* * *

او تريدي الليل خمراً
أنت قد عصّرته من أكبُد العُشّاق

كي يشفي الغليل
فاعبري بوابة الخوف إلى المرج الخضيل
لم يعد ليل الهوى
ـ منذ سقوط البدر في الوحل ـ جميل
جاء فرسان بأثواب حداد
واهالوا الرملَ في عين القتيل

*** * ***

يتها الشمس التي تدرجُ في الأفق
على عُكّازة الظلّ
وتلقي بمفاتيح عَمَاها لعيون ساهرة
كَسَر الموجُ المراسي
وإلى القيعان ألقى بحطام الباخرة
يتها العمياءُ لا تستوقفيني
ليس يجديني عماكِ
فامنحي عُمريَ شمساً مُبصرة

2 . نخب على القمّة

هذا أنا
أرنو أخيراً من أعالي الأرض
للشمس التي تهوي
وتُطفأ في السُهوب

وإلى النـهورِ تدبّ مثل النمل
حَفرَاً في الثقوب
وإلى الطيور تكاد تحت الغيث تذوي
أو تذوب
ها إنني من بعد أيام الزحوف
أصير نجماً في القمم
نجماً يضيء بخجلة
ما بين حشد من نجوم
ودموع أفراحي الغِزار تكاد تُغرقني
فألبث تحتها بيدي مظلة
في لحظة النصر اليتيمة
أقطع الحبل الذي قد جرّني نحو الوراء
وأعود أربطه إلى قممي
ليصعد عبره من هرّأت أجسادهم أفعى التخوم
وأقود أيامي بمهماز
لأنسى أنني ضيّعت نصف العمر
بحثاً عن فوانيس الضحى
بينا بأعماقي الفتيل
أليوم أُلبس معطفي شمسَ الشتاء
وحباليَ الجذلى
تُؤرجحها على الأحجار أرواحٌ تُحلق
بعد أن عبّتْ من الخذلان أقداحَ السموم
ومعاولي مسّت من الأحجار
أكبادَ الذين قضوا بلا ثمن

ليكتشفوا الطريق إلى النجوم
طريقَ دهشتهم
وقد رقصوا مع الحلم الذي قد فرّ من أجفانهم
ومضى يحلق في الغيوم

3 . ألعصفور الأعمى

اني عصفور أعمى
أتخبّط في أمواج من قار
حيناً تفتح لي الصدفة أبواب نجاة
لكن دوماً تدميني الجدران
ممن أطلب عوناً ؟
ملء سماء الفجر صقورٌ
والروض مغاور ذؤبان
والصيّادون وإن ناموا
تركوها يقظى عينَ النيران

* *

وحقول دوني
رتع السبع بها والسارق نهبا
لا أقربها
حتى لو نهشت أظفار الجوع حشاي

وآخجلة من فقد الدربا
أن يلقط في الظلمة حَبّا

*** ***

... وأتوق إلى الأفق ، ولكن
تمسكني الظلمةَ في طوقِ
أمضي
فأعود كما كنتُ
لمبتدأي دوماً في الشرقِ

*** ***

وسترنو نحو خبايانا الشمس الخجلى
وستوقظ أسرابُ الطير نوافذَ غافية
لكني سأواصل وحدي الرحلة
من نزفي
للأفق المدمى
لا أوقظ إلا أحزاني
إذ ليس سواها من أحدٍ
يرضى أن يوقظهُ أعمى

*** ***

حسبي أني طير أعمى
إذ أتخبّط بالظلماء
لكن ما حيلة ذي بصر
يتعثر والدرب ضياء

1987

4 . أللعبُ مع الشمس

لا تنظر من ثقب المفتاح إلى الشمس
وتلامس خيطان النور بخوف
فكأنّ الخيطان أفاعٍ
لا تطلب من نور الشمس تراخيصَ ليأكل من صحنك
أو يشربَ من عينك
أو يسهر كالكلب على الأبواب
لا تتعبْهُ
فيخلعَ ثوبَ الضحك
ويخفي درته تحت الأجفان

* *

لا تنظر من ثقب المفتاح إلى الشمس

إفتح باب البيت على مصراعيه ، ودعها
تضرم في غرف النوم النار
لن تحرق منك سوى الخوف
لن تهزم فيك سوى الظلمة

* *

علق قرص الشمس على جدران العمر
ودع الظلمة ترحلْ
وتلوّحْ بالمنديل لمن يقفون على السكة
لكن لن يتلفت من أحد
ليقول : وداعاً

5 . ألنورُ والموتى

يا أيها الفجرُ المغطى بالطحالبِ والغصون
يانولنا الدامي على حجر السطوح
نصحو
وننسى أن سيفك مغمدٌ بضلوعنا
وعلى الكراسي
تستريح الشمس من تعب الرحيل
وعلى مقابرنا
نعلق ثوبك النادي ، الهريء
قطعان خيلك تقتفي أثارنا

وقطارك الملتف حول الأرض كالأفعى
يجمّعنا كما الأسماك من شتى البحار
ندعوك أن تلجَ القلوب
وتنام فوق صدورنا
ليهشّم النبض الحديدُ عن القلوب الثلج
ندعوك أن تبكي لنبكي من ورائك
مثلما الريح التي تطفي النجوم

***   *   ***

يافجرنا المنحوت من كِسَرِ القناني والصحون
حتام ترقد في الجبال
وتجفّ في الوديان أشلاء الضحايا
لم يبقَ ما نعطيه للإعصار
جرفت بضاعتنا إلى القاع السيول
وتفرّقّ الأصحابُ : اعداءاً ، وأغراباً
وتقاسم الأغراب ميراث الجدود
اصرخ بموتانا : اخلعوا اكفانكم
واكسرْ عن النجم الحزين غطاءه الفولاذ
ولتغسلِ الأمطار من اكبادنا وحل السنابك

***   *   ***

تتراجفين من البرودة ؟
ام مخافة مايحوم على عشاشك من صقور؟

هربت خفافيش الظلام
وانهار طود من جليد
ولسوف تنسحب الخيول وفوقها جثث الغزاة
لكنَّ ثوبك مثل ضوء الشمس يخفق في القمم
قد جئتِ بالفجر الذي لفظته امواج البحار
كي تغسلي بالدمع رايات الجموع

6 . قاطرة الحياة

لا شيءَ يبقى أبداً محتفظاً بلونه
تحت غيوثِ الشمس
بملحِهِ
من بعد أن يُنقعَ في رطوبة الظلال
لا شيءَ يبقى مثلما كان
فلا يصدأ ،
أو يُنال
ألسروُ يغدو حطباً
والوَعلُ في حُنوطِهِ يغمد قرناً خائراً
في جسد كسيح
قاطرة الحياة لا تنتظر النائم في محطة الأمال
صفيرها
يثقب كالبريمة الجبال
بخارها يستقطر الندى من الصفيح
وكلَ من تجتازه يدركها عدواً

فليس في انتظارها من متعبٍ
وليس من ركابها كسيح
قاطرة الحياة تمضي
ومن النوافذ المشرعة
تطلّ دائماً وجوهُ الشباب
أجفانهم تنسل منها سحب الأحلام
فوق المقعد المريح
ودائماً يلوّح الشيوخ بالمناديل على الأرصفة
يا للمناديل التي تهرّأت
من كثرة التلويح

للحب الذي كان

1 . كأس من الضوء

كفَاكَ
فمهما أكفُ العمى
عَصَرتْ قارَ أوساخِها في عيوني
فإنّ المحبّةَ

أن أدخل الشمسَ قلبي
من ثقب في جدار البدن
وأمنحها بين أبياته الخربات سكن
وأطرد عنها النعاس الثقيل
لتكشط ما تنسج السنوات
على جسدي من عفن

* * *

وإنّ المحبّة
توق القتيل الدفين بجلدي
إلى أن يمزق عنه الكفن
ويسبق من شيعوه
إلى إكتراع كؤوس الوسن
كأنيَ بعد السكون
أحسّ بمطرقة من حديد
تحطم ما يتجمد في أضلعي من جليد الشجن
تُذكّرني : إنما الموت رغم المكوث الأبيد مَنافٍ
وإن الحياة
برغم الرحيل الطويل وطن

1984

2 . نسيان

كان على كفي
أن تحفر وجهك في صخرة ذاكرتي
كان على قلبي أن يتوقف إجلالاً
وهو يودّع وجهك عبر نوافذ عيني
كيف نسيتك ؟
أذكر اني قبل قرون
سافرت إلى الفجر على مركبة من جفنيك
وبأنك رافقت مسيري
بجنود من أهات وأنين
مذ ذاك اليوم تفرّقنا
كان الليل ينث جليد الظلمة فوق موائدنا
ويقيم سدوداً من أنياب شياطين
وابتدأ النسيان
يغلق أجفاني بالأقفال الفولاذية
وابتدأت روحي ترسب في القعر

*** ***

واليوم أرى وجهك
ينسل خلل الغيمة نحوي

ويُذيب الثلج المتراكمَ فوق رصيف الماضي
حين أسائل نفسي : كيفَ نسيتكَ ؟
يعني اني أسترجع ذاكرتي

3 . نهاية طموح

لم تكن الحياة يا صديقتي تكفيك
حصيدها أقلّ من زنبيلك العظيم
فحين تقفزين
لا ترضين إلا أن تدوسي النجوم
وحين تمتدّ إلى الأغصان يمناكِ
تكون اخترقت بوابة الغيوم
وحين تهمسين
تنهدّ إلى وديانها الجبال
تحت معول الهزيم

* * *

كنت تريدين حياة
غير ما عهدتِ من قفل ومن سلسلة
نابضة
كأنّ كل بذرة في قاعها قنبلة
متعِبة

في كلّ مدخل من العشرة باب مقفلة

*** * ***

صغيرة كانت على طموحك الحياة
فرحتِ من جوع إلى التهامها
كالنسر ترمقينها باشتهاء
فكيف تقتنعين بالقبر غداً
ولم تكن تكفيكِ
لا الأرضُ ولا الفضاء
وكيف تكسرين مفتاحك في بوابة الظلماء
وكنت تطمحين أن تحترقي
شوقاً إلى الضياء
وكيف تُغمضين عينيكِ إلى الأبد
وكنتِ من كراهة للنوم
قد دققت في جفنيك عشرين وتد

4 . توبة

لمّا تزل حبيبتي
فلم تزلْ أصداؤنا في البيت بعد النزوح
ولم تزل أقدامنا
تنقر كاللصوص فوق السطوح

أكفنا تفلتتْ عن بعضها
تلاشت الأصابع الرخوة في ماء الضحى
واصفرّ دربنا على بيادر السفوح
توقف النزف بنا
وانتقلت من راحة الكفّ
إلى الأعماق تلك الجروح

*** * ***

ولم أزل أتبعها
مهما نأتْ
فالجمر في روحي وفي أصابعي الصقيع
كبرتُ
لكن لم تزل
بي للحليب جوعة الرضيع
لكنني لطالما استحقرتُ في وفائها
ذلول عبد مطيع
وإنني لطالما أتعبتها بلعبة الصدود والنسيان
وطالما تركتها محلقاً
في الغيم خلف القمر السكران
وطالما مزجت خمري زائفاً
بخمرها العتيق في الدنان
لكنها بالرغم من خطيئتي
تُرخصُ عني دمَها في ساحة الطعان
وقبل أن أطلب ما أحتاجهُ

تلقي بسنارتها لأبعد القيعان
لذا أحسّ إنني أذنبت
وإن مطلبي من الله ، ومنها
الصفح واغفران

1984

5 . طفولة ثانية

تعالَي نعُدْ لبراءتنا في قطار الطفولة
متخذين الدخانَ قناني
ومتخذين الصفيرَ شراب
ومستصحبين المظلاتِ
كي لا يُصاب الصباح بنزلة بردٍ
فيحرمنا نادل الورد
ان نتناول كأسَ الرضاب
لعبتنا بعدُ لم تنتهِ
فالكراتُ التي قد رمينا
لمّا تزل – مذ تركنا الملاعب
حتى كبرنا
معلقة بالسحاب
تعالي على الرمل نكمل بيتاً
تركناهُ للريح تعبث فيه
وتكسر منه بمطرقة الموج سقفاً وباب

تُرى هل ستعرفنا الشمس بعد غياب ؟
فمنذ تركنا الأزقة لم نلقَها
خرقنا السمنتَ لندفن أحلامنا
بينما سقطت هي من شاهق
وتوارت ببحر السراب
ومن قبلُ قد لوّحتنا
وقد أرهقتنا
إلى أن بلغنا قبيل الفطام أوآن الشباب

* * *

سنبقى
ونحن نجاهد ضيق الرباط
نحنّ – ببعض الحياء –
لدفء القماط
ونخفي الدُمى الخشبية
كي نجد العُذرَ
أن نتسلل تحت البساط

6 . على رصيف واحد

واجبي :
أن أحافظ دوماً على قدميك من العثرات
أسوّي الحصى بيدي
أردم الفجوات
فإذا ما تنبّهتُ أنك قد تعبرين
أهزّ الحفائر
أوقظها من سبات
أطلبي كيف شئت ، اطلبي
تُمدّ إليك يدان
واجبي :
أن أقودك مغمضة العين
نحو الأمان
إذا ما سهوتُ أنا عنك يوماً
سيمتصّني
من مسامات جلديَ وحش المكان

7 . قصة حب

كنا محضَ صديقين
لم يضفر أحدٌ للأخر حبلاً
أو ينقضّ بمعولْ
كنا نتحاور بالهّدب وبالشفتين
لم نلمسْ بعضاً بذريعة

أن نعرفَ من منا الأطول
لم نُمعنْ تحديقاً في بعضينا
فكلانا قبل تعارفنا
لم يغطس عوماً في جدول
كان الإحساسُ بما نخفي
مستوراً بقناع وقار
فكلانا محضُ زميلين بمصطبتين من الأحجار
لا تلاتجفان من البرد
ونحن تُذوّبُنا الأمطار
لكني كنت إلى شيءٍ فيها أهفو
شيءٍ يؤكل
وأحسّ بأنْ هيَ مثلي
تهفو إلى شيءٍ بي يؤكل
وخلاصة قصتنا
أنا كنا نتحيّن أن نأكلَ بعضاً
دون خدوش
كنا في غابات الحبّ الوادعِ
نرعى مثلَ وحوش

8 . طيفٌ من أحبّةٍ غائبين

قِزَعٌ هوَ بيضاءُ من غيمةٍ
تحومُ
وتدخل قلبيَ من فرجة النافذة

فلو لامستها نسائمُ باردة
ستثقب فوق حريقي قِراب الغيوم

* * *

قِزعُ ذلك الطيفُ من غيمة
تجيء به الريح من أبعد الكون
لكنه ليس يطفيء في مقلتيّ المصابيح
بل هو يضرم فيها لهيب مهابته
فتصبح أهدابيَ المطفآت شموعا

* * *

قرأت رسائله في بريدي
فأدركتُ أنيَ ما زلتُ حيّاً
تقفيتُ أثارهُ في السلالم
حتى على الكون أشرفتُ من موقع في السماء
لمست يديه
لقد كانتا كالجليد تذوبان في قدحي

* * *

إنه ليس يشرب كأسي ويكسرها
بل هو يفرغها من صدأ

ويملأها بالرضاب
وإنّ أصابعه لا تنتف هدبي
لتمنعني أن أطير
ولكنها مثل طوق من الورد
تلتفّ حولي فيغدو جبيني حديقة

* * *

ترى من يكون ؟
صدى قبلةٍ لم تزل تتردّدُ في أذني
بعد أن شتتتْ العصفُ جَمعَ الأحبّة
أم هو النار
عادت مع الريح
تنبش ما خلفتْ من رماد
أم تراه سحائبَ
تعصرها فوقَ جرحي الأيادي التي جرحتني

يدُ الساحر

1 . ألحذر

أمسكت – خوف العصف – بالسقوف
كي لا تطير
كدّستُ خلف الباب أحمالي
لصقت بالصمغ على البلاطة الحصير
ربطت بالحبل ذراع السرير
دعوتُ لا يدركني
- من حيث لا احسب – سوء المصير
من صدع الأساس
أو من نخرة القضبان
لكنما الريح التي هبّتْ بلا استئذان
كحزمة من ورق
مزقتِ الجدران

2 . أحلام بلا أجنحة

كان بودّي
أن أغوي أسماك الزينة
كي تكسر صندوق الماء
*** * ***

كان بودّي
أن أدخل قطّ المطبخ مدرسة الرقص
أن أتنقل عبر الزحمة في زورق
أن أمنح إشعاع الضوء القدرة في القتل

أن أنسي نايات الراعي الشدوَ
وأغريها بالرؤيا

* * *

كان بودّي أن أمنح نظراتي صوتاً
وأصيّر ضحكي مقياساً لمرارة نَوحي
وأغامر أن ألقي نفسيَ في مجمرة دموعي
وأذوب

* * *

كان بودّي
أن أمسك ما ليس يطال
وألصّق أحلامي تحت جناحَيْ طير
أفكاري تعدو مسرعة
لكن قدمي مبطئة بالسير

3 . ألاحتفاء بما يليق

... ولأبيات الشعر التعبى
سأقدّم كرسياً

كي ترتاح قليلاً بعد عناء
وتردّ إلى الكلمات الأنفاس المقطوعة
فهيَ تحوّم مذ ألفٍ كملاك
توصل للعشّاق بريد اللوم
وتنشّر رايات السِلم على مدخنة السقف السوداء
وتعلمنا أن نبكي
إذ نتفرّقُ بعدَ صفاء
وتعلمنا أن نحلم
في أحرج ساعات اليقظة
ونضيء فوانيس البهجة
في طيّة عين عمياء

* * *

ولأبيات الشعر
عناء نبات الفيء الطالع في الصحراء
وعناء الجرثومة
تنشر في جسد يكبرها الداء

* * *

ولأبياتِ الشعر التعبى
سأقدّم وردة إقرار بالجهد
وسأرفع قبعتي

وسأخلي الكرسيّ لها في الصفّ الأول
وأصفّق
حتى أفزعَ من جاء ليغفو
مطروداً من حانات الملل الظلماء
فلتتقدّم أبياتُ الشعر صفوف الأمراء
فالصفّ الأوّل في المسرح
للأوّل خارج تلك الأبهاء

4 . ألأسرار

نجهدُ أن نكتم أسرارنا
فنغلق الأفواه حتى تُكسرَ الأسنان
ونحفظ الأرواحَ كالخمرة في قناني
وعندما لا يجد العصفورُ في أعماقنا منفذاً
يسقط في فوّهة التنور

* * *

وربما نموّه الأسرار
نُلبسها قبعة وثوباً
نعقد فوق رأسها طوقاً من الزهور
نُهرق في مفرقها دنّاً من العطور
نطلي جدارَ البيت بالصمغ
ونلصق القشّ على السطوح والأعشابَ

لنوهم الجيران إننا من الطيور

* * *

وربما نودِعُ في مخازن الأثواب هاماتنا
من أجل أن نهربَ من رقيب
نقلع أحداقنا
نخنق أنفاسنا
وندفن القلوب تحت كومة من ثلج
لكن صوتاً هادئاً سينزع الفتيل
مفجّراً قنبلة السكون في القبور

* * *

أسرارنا لا بدّ أن تُذاع
لا بُدّ أن تقرع أبواباً سوى أبوابنا
لا بدّ أن تُحرق أعصاباً سوى أعصابنا
لا بدّ أن تؤكلَ أو تُشربَ
أو تُطلقَ من أسار
لا بدّ للغبار أن يُثار

تشرين الأول - 1988

5 . ألقناع

يتعبني – في البدء – كان القناع
وكاد من عُبوسه
وجهي – إذا ضحكت – أن ينجرحا

وكلما هممت أن أخلعه
شدّ إلى صدغي به خيط من المطاط
لكنّ في قالبه وجهي نما
ونـال من مَلمَحه ملامحا
وبعد أنْ في اثنين قد تخالفا
في واحدٍ تصالحا

*** ***

وبعد أنْ أنستنيَ الأيام وجهي
لم أعد أعرف غير القناع
فهل إذا خلعته
أعرف من أكون ؟
لسنا على الأرض سوى أقنعة
خبيئنا
غير الذي يبرق في العيون

*** ***

وبعد أنْ كنتُ به مغترباً عني
لمّا أعد مغترباً في الجمع
لم تكشفِ الجموعُ من ولـهتها
ما بتّ في دخيلتي
أضمره من الوَلـهْ

ولم تعد تجرحني العيون
كأنما يجمعني بكلّ من حولي الشَبَهْ

1986

6 . من أين يأتي الليل ؟

من أيّ نافذة يجيء الليل نحو بيوتنا ؟
ويُسمّر الأبوابَ ،
والأفواهَ
حتى تملءَ الأحشاءَ أحجارُ الظلام
ويسدّ أعيننا
وما زالت منقعة ًبأنداء المنام
ويطلق نارَهُ بصدورنا
ليزيدَ في أعمارنا ثقل الحطام
ويدير دفتنا
لنغرق في قرار الوهم
أو ننأى بعيداً عن تضاريس السلام

* * *

من أين يأتينا الظلام ؟
أمِن الشوارع ؟
والخرائب ؟

والمواويل القديمة ؟
(آه يا ليلي ،
ويا عيني ،
ويا قلبي الذي غلفتُهُ ، وبعثتُهُ
مثل الرسائل فوق أجنحة الحمام)
أم إنّ غيمته تنثّ من السقوف
وقد تقشّع ما عليها من سُخام
أم إنهُ يحيا بداخلنا
ويخرجُ من ثقوب الأنف معْ رشح الزكام

7 . ميلادُنا المؤجَّل

من قال : إننا وِلِدنا
أجسادنا لمّا تزلْ في الغيب
وكلّ ما نشهد من خراب
مَرَدّهُ أرواحنا
فهيَ كنسر لم يزل محوّماً على الجيف

*** * ***

أكفنا التي تقتلع الغابات
ونولنا الناسجُ للخداع أثواباً
وضحكنا الذي نصنعه بشرب برميل من الأصباغ
ليست سوى أوهام

فنحن لن نولد لحدّ الأن
برغم ما يُنسب في الأرض لنا من فساد
وإنّ ما ينصل من أضفارنا من دماء
ليست دمَ الغريب بل دماؤنا
فقد سقينا بذرة الفرحة في قلوبنا بالسم

* * *

بالرغم من ضجيجنا
فنحن لم نولَد لحدّ الأن
فما يكون الحال لو ولِدنا ؟
ستصرخ الجبال :
يكفي عبءُ ما نحمل من بشر
من أجل أن تستمتع الغيوم بالأحلام
وتحتسي الأسماك نخب بيئة
خالية من زئبق المصانع
من أجل أن يمسح عن جبينه الأفقُ
بُصاقَ مدفع الميدان
من اجل أن يفرش فوق ظهره المرجُ ثيابَ النجوم
لا بُدّ أن نُرجيء ميلادنا
لا بدّ أن نُلغيه

8 . كوابيس

أحلم دوماً إنني أسقط من شاهق
وحين أستيقظ لا تُفرحني سلامتي

أقول معْ نفسيَ : لو نجوتُ هذا اليوم
سرعان ما أسقط في فوّهة التنور
فكلّ من ماتوا على الطريق
لا بدّ وإن مرّوا بذات الحُلم
وإنهم ما اتعظوا
وواصلوا الصعودَ فوق السلم المكسور
ومثلهم أنا
أقضمُ – كلما استيقظتُ – في شهية
كفي على مائدة الفطور
أخرجُ عُريانَ ،
وفي عُجالة
ألبس في الشارع سروالي
وأسلم القميصَ مخفوراً إلى دورية المرور
أجتازُ قفزاً كلّ ما يعيقني
كأنني في قدميّ قد لبستُ السور

وجوه الحب

1 . ألأصدقاء

بعضهم سيغادر دون وداع
رازماً قلبه في حقيبة

*** ***

بعضهم سيموت
ورغبته
أن يجرّ إلى الموت أصحابه الأخرين

*** ***

بعضهم سيعنفنا
فإذا جاء وقت الرحيل
سيغرق زورقه بالدموع

*** ***

بعضهم سيجفف أحزانه
فوق حبل ابتساماتنا
غير إنا إذا ابتردت في التغرّب أحضاننا
فليس أحرّ على القلب

من أن يعانق ذكرى خصوماتنا السابقة

*** ***

وقد نتنبّه يوماً
بأنا نسينا كثيراً
وأن أصابعنا
- وهي تذبل – في جيب سروالنا
لم تكن ذات يوم حبالاً تغيث الغريق
وقد نتنبّه أن مشاغلنا
ضيعت ثروة الحبّ في عمرنا
وإذ نتلفت فوق هضاب السنين
فليست سوى الذكريات
يابسة تحت أقدامنا مثل غصن كسير

2 . ألأعداء

لم نتباعد يوماً
مثل الجسد الواحد كنا
جُمعتْ منه بثوبين الأعضاء
وخطانا : اليمنى باليمنى
والهمسات غناء

فإذا حَبَسَ النفسَ الأولُ إختنق الأخر
وإذا نوديَ هذا
ذاك تلفت نحو وراء
وإذا ما أعياه القيدُ
يئنّ الأخر من إعياء

* * *

عجباً ... عجباً
لم تمضِ على فرقتنا إلا لحظات
كيف تحوّلنا أعداء ؟

3 . ألأمير والملكة

كان أميراً
وهي كانت ملكة
والحبّ ما بينهما
يسري كأمواجٍ ذهب
والنار إذ تطيش في الغابات
لا تُبقي سوى هياكل الفحم
وأعواد الحطب

فسافرا معاً كطفلين على مركبة السحاب
وخلفا في العشب للواشي أثر

* * *

وعندما كانا يسيران بحذو الساقية
تقافزت للظل أسماك مع الأمواج
وارتعشت من بردها الأحراج
قال لها الأمير : يا مليكتي
نحن هنا نخاف أن يحظي بنا الواشون
ويوصدوا على القلوب الغضّة المزلاج
فلتهربي معي إلى الغابات
تاركة عرشك للخوف ، وللدموع
هناك نبني بيتنا من يابس الجذوع
ونزرع الحقول
وعندما يجيئنا الربيع
نبيع من حصيدنا
ومن رضاب حبنا نسكب في إناء
لربما تمزّق الفاقة في البدء جلابيبنا
لكننا من مِزقٍ
ننسج ـ بعد ذاك ـ ثوبَ الثراء

4 . ألصيّاد

أرجوك ألا تطلق النار على القمر
دعه ينم في أمنه
ونحن نستجلي أمان نومه لنومنا
ونستحثه بأن يبعد عن داجية الأمواج
حالته زريةٌ كحالنا
لكنّ غير كفه
ما أشعلت على سقوف حزننا سِراج

* *

هل أنت تستكثر
أن نرفع أعناقاً خفيضات إلى السماء ؟
أم انها الغيرةُ
أن ترى على الجموع أقدامَ جليس العرش ؟
أم سكبت دهانها
في عينك الضغائن السوداء ؟
أم شحذت في عظمك الألفة نابَ الوحش ؟
أرجوك ألا تجعل الليل علينا مأتماً
أرجوك لا تلقِ إلى سمائنا بنعش

* *

هب أنتَ أصميتَ القمر
فما الذي تجني سوى العَماء
ستنتهي نارُكَ للقتيل ثمّ تنثني
راجعة إليكَ للوراء
فالنارُ كالقاتل ليس تؤتمن
واحذر يديك
ربما تطالبان بالثمن

* *

أبق لنا القمر
أبق لنا القمر
فإن حوى كنزك ألفُ لامع سواه
فليس في كنوزنا إلاه
وليس في شجيرة الفولاذ عند بابنا
سوى عناقيدَ من الحجرْ
أبق لنا القمر
أبق لنا القمر

5 . ألعاشقة اللعوب

تلفظ من يحبّها

وتعشق الغرير ، والحيران
وترتمي كالسيف تحت جبّة القرصان
وتنتهي رحلتها في قُطُر الضباب
ومن جديد تبدأ المغامرة
فتركب البحار
وترفع السارية
وقلبها يلفظ كالأمواج ما في القرار
فتارة تغطس تحت القار
وتارة تنشد ضوء النهار

* *

جميلة كانت
ولكن دربَها مستوحشٌ مجهول
وحلمَها الجائعَ مثلُ غول
فكلّ ما تريده تنالهُ باليدين
فكرّرتْ تجربةَ الحبّ كمن يغوص خلف قوقعة
لكنها لمّا تنلْ لؤلؤةَ القاع
ولم تسلمْ من التيار
فانجرفتْ
وحطّمتْ شراعَها الأمواج
وحطمت قلوعَها
ونثّرتْ كنوزها في طينة القيعان
وأسلمتْ للأخطبوط مقودَ القبطان

6 . ألفراق

من قبل لقيانا
أنا ما كنت أحتمل الفراق
أبكي إذا ودّعتهم مُرّ البكا
حتى تغوص بجبهتي عينيا
وتضيع في رأسي خيالاتي
كسرب من (خفافيشٍ)
وتسودّ الدنا
حتى لأعجز أن أميّز بين كفيا

* *

من قبل لقيانا
أنا ما كنت أدرك حكمة الصبر الجميل
صمغ تسرّب في دمي عبر العروق
لكنني من بعد أن لامستِني
ليسيلَ صمغك في يدَيّ ، فنلتصق
أدركت – كي نبقى معاً –
لا بدّ يوماً نفترق

7 . إلى إبني

لا تبكِ عليّ إذا مُتُّ

فالعشبُ سينمو من بعدي
حتى ليُفصّلَ أثواباً
ويُقصّ بحسب مقاسات المرج

*** ***

وستَقرعُ نافذةَ السهران عطورُ احبّته
فيرى شمساً
تترنّح من غنجٍ بين يديه
وستغرق في عرق الفلاحين حقولٌ
وتئنّ من الحمل مساميرُ العربات

*** ***

لا تبكِ عليّ إذا مُتُّ
فالطلقةُ لن تصدأ في السبطانة
والحقدُ بفرشاة الفولاذ يُلمّع أسنانَ جرائمِه
والقاتلُ من قبوٍ
يحملُ قتلاهُ إلى أخر
فتفاجئه أعينهم تطلق نيران اللوم

*** ***

لا تبكِ عليَّ إذا مُتُّ

واذكرْ إني حين رحلتُ
أوصيتُ الشمسَ بأن تمنحَ فجرَك
كلّ حقوقي فيها
دفئاً ..
وهناءاً ..
وسلاما ،
وتمنّيتُ بأن تصبحَ روحي لك درعاً
لكن هيهات لنا ما نتمنى
لم تكُ روحي غير ضبابة

1984

8 . ماقالهُ الحدّاد عن ألآته المعدنية

هجع الناس والآتي
تسّامر مع دود الأخشاب
تقضم حَبّ الوقت
وتشرب شاي الصدأ الأحمر
لم تتقاتل
ومعادنها جُبلت لطعان
هادئة
لامعة
فكأنّ الهدأة تجلو اللمعان

*** ***

لكن ما للناس إذا ما جنّ الليل
يصطخبون
ويصطرعون
وينفخ أحدهم في عين الأخر
يطعنه
يعجنه
يفتل زنديه كما يفتل حبلاً
يُدخله من سطح الشرفة مقلوباً خلل القضبان
دودٌ يأكل دوداً
والكل كخيطان الغزل حوال النول
هذا يفتل عظمة ذاك
وذاك يغني في قفص مقفول

*** ***

يا ألآتي الميتة ـ الحيّة
لكأنك من طهر
قد فقتِ الأحياءَ بلمعة
والأحياء إذا التمعت أعينهم
تُطفأ في داخلهم شمعة

9 . مفاضلة بين صديقين

قبل مصادقتي النجمة الساطعة
كانت تصادقني ظلمات المساء
وكنت أصيح
فلا يُستجاب لصوتي
وأعثر كنت بظلي
فليست تقيل يدٌ عثرتي
وحين أسائل عن مؤنس
يحفر خدّي ظفر البكاء

* *

ولكنني اليوم أغفو
وتسهر فوق فراشي النجوم
وأسهو
فتوقظ فوقي – لتحرسني –
غافيات الغيوم
وقد تتقدّمني
فلا اللسع يفجؤني بعدها
وحين أبوح
يغفو الوشاة
وتسمعني وحدها

* *

صحيح بأنّ الظلام قريب
يحوّطنا
ويضغط هاماتنا بأصابعه
فتمسّ الحطام
صحيح كذلك أن النجوم تحلق نائية
وتبعد عنا
حتى لنعجز أن نتقرّب من ذكرها بالكلام
ولكنّ ذلك ليس يسوّغ
أن نستطيب الظلام

10 . فوانيس

ليست هي النجمة في عنقودها
والقمرُ الشاحب
كالمَوزة في حديقة السماء
وحدهما يضوّأن عتمةَ الأيام
هناك في سُجوده أبي
الذي يئنّ كالمسبحة
وصاحبي الذي يجرّ أخطائيَ بالحبال
وأميَ التي
تسألُ - في انتظاريَ - الظلمةَ والجدران
والحزنُ إذ يقطر في رأسيَ كالمِزراب
والمرأة التي بها نافذتي قد أصبحتْ حديقة

جميعهم قد ضفروا أهدابهم فتائلاً
ليجعلوا أحداقهم لليلتي قنديل
وكلهم قد فرشوا تحتيَ راحاتهم
كي لا أدوس الشوك في سيري إلي قلوبهم

11 . بَصَماتُ أبي

قبلَ سنين
كانت كدماتُ الضرب على جلدي
تبصمُ كفّ أبي
كانت كالقنبلة بجسمي تتفجّر إذ ألمسها
وأئنّ من الغضب
ودواليب مسننة تقرض من عقبي

* * *

لكنّ الأيام – كما ندري – لا تُبقي من حقد
بعُدَت
وتلاشت
كحداء الركب
مسحت بصمات خطاياها
وخطايا الأباء
حملت عني ألمَ الضربِ
وكبرتُ لأدركَ أني بالغتُ بأخطائي

وبأني فيما كنتُ أريدُ العفوَ
أعاقبُ أبنائي

* * *

بعدَ سنين
صرتُ أنقّبُ عن أصداءٍ للذكرى في رمل النسيان
فأقبّلها
وأقدّسها
وأنزّهها أن تتساوى
مثلَ بني الموتى في الكفن
صرت اقبّل موضع كفّ أبي في بدني
ولقد كنتُ زمانَ الطفلِ أودّ
لو اكبرُ قبل أواني
كي اهربَ من سوط الوهن
واليومَ أودّ لو اني عدتُ صغيراً
كي يضربَني

هذيان

1 - ألأفعى

أوهِمُكم أني أفعى
ونيوبي تقدحُ في العتمة
ولساني كالسُوط يطاردكم
وفحيحي صرخة إنذار
أوهمكم
فتبيتون سهارى
وأصابعكم تتحرّى خلف الأستار
أوهمكم
فإذا بأياديكم
تطلق في أجسادكم النارَ على العضو الراجف
وتطاردُكم في الأحلام
ظلالُ عمود الهاتف

* * *

يا للسخرية أن أغدو أفعى
أين أخبّيءُ ماءَ الحُبّ الفائض كالأنهار ؟
أنّى ألزمُ – والدنيا نافذتي –
ثقباً في الأحجار ؟
كيف أباغِتكم ؟
وأنا - من أثقال الدنيا -
أثقالي عتبٌ وحنين
كيف أفحّ
وفي حلقي من نحلات التَحنان طنين ؟

أتكون العزلة عاقبتي
وعلى منضدة الطرقات أوزع أطباقي ؟
كفاي تضم خصيمي
وبنانُ العَفو يُجمّشُ اعماقي

*** * ***

وأفحّ ، ولكن فحيحي لا يُسمع
إني أفعى خائبة
تتلوى
تتلمّظ
لكن لا تلسع

2 ـ ألمرآة

لا أتقدّم عن خطوكَ أشبار
لا أتخلّفُ عنكَ
فتسلبني كأس المضمار
لا اسعلُ
إذ تنفثُ في وجهيَ دخان السيكار
لا أعملُ في كذبتك الممحاة
لا أقدر ـ حين تباغتني –
أن أشحذ حدّ المطواة

آن لعينك أن تدركَ أنـي مِرآة

3 - حُبوبُ الـهلوسة

في رأسه كانت حبوبُ الهلوسة
تفعل فِعلَ المِكنسة
فعندما يبلعها
ترقص – في طريقه - العمائرُ الفرعاء كالأبالسة
وتخفض الشمس له جبهتها
كراية منكّسة
ولم يعد يرى من العالم غير لوحة محطومة
ما دام في مقلته
حطام آلاف المرايا العاكسة

* * *

ولم تعد تنال من يقظته الحبوب
أدمَنـها
أطلق في أعراقه كلابَها المحتبسة
واطبق السكون في ضميره
بُعيدّ أن شلّ لسانُ الوسوسة
فصار يصحو كلما تناول الحبوب
وكلما بارحه تأثيرها

غاص إلى الأنف بطين الهلوسة

4 ـ أقدمُ مسرحيةٍ في التاريخ يتكرّرُ عَرضُها كلّ يوم

(ألمشهد الأول)

إثنان يقتتلان وراء الستارة
وفي بركة من دم يغطسان
وإذ يُحسَرُ الضوء
تعظم في الحاضرين الخسارة

(ألمشهد الثاني)

يقوم القتيلان مُبتَسمَين
فيعلو الصفير
وينفض بعضهما ثوب قاتله
ويعتذران لمن حضروا
عن مُعِدّ بدون ضمير

(ألمشهد الثالث)

يجلس بعد النزول القتيلان بين الصفوف

ويأخذ دوريهما أثنان
- لا فرقَ كانوا جلوساً هنا ، أم وقوف -
واثنان بعدهما يعقبان
إلى أن يواري الحضورَ جميعاً
ستار الحتوف

5 - في إختبار الضحك

في إختبار الضحك هم قد ألبسوني تاجَهم
كي يعلنوني سيداً لمهرّجين
هم سادة المتفكّهين
لو شحّ ضحكهمو
لشقوا فوق أوجههم بسكّين فتوق
فتمايلت قاماتهم
وبكلّ فيه غرغرت نشوى نُجيماتُ الشروق
لكنهم في إختبار الضحك قد فشلوا
فصاروا مثل من يبكي ببوق

* * *

لمّا أكنْ يوماً أشاركُ في اختبار العقل
كيف إذن أشاركُ في اختبارات الحلوق
كانت إذا قهقهت أضلاعي على قلبي تضيق
وأصابعِ الدخان تنسل في دمي خلل الشهيق
والضحك في شفتي كلسعات الحروق
فمسحتُ دمعاتي
وأرجأت التأففَ
والتضوّر
والحنوق
وحفرت في وجهي بأسناني مضيق
خمد الضياء بكلّ فيه ضاحك
لكنني ما زلت أخزن خلف أسناني البروق

*** * ***

ألضاحكون الحقّ قد خسروا
وإني رغم أحزاني ربحتُ
من يا ترى في ضحكِهِ كان الصَدوق ؟

6 - هروب إلى الداخل

أهربُ من ذاكرة
تعبق منها رائحة الجثمان
أدلق فوق قمامتها زيت النسيان
واضرم في شعري النيران
اهربُ من زيفي
أهرب من قهري
من جثث علقتِ الأمواجُ المسحوبةُ في الجدران

*** * ***

أهرب من خيبات
أثقل من أن تحملها كتفي
أهرب من مطرقة
تقرع في صدغي ناقوس الخوف
أهربُ من أخطاء سواي
ومجد سواي
ومن سيري أتتبّعُ صوت عماي

*** * ***

أهرب مما بذرَ الأغرابُ بأرضي
فنما الزرعُ بها ذؤباناً تتعاوى
أهرب مما دفن البناؤون بأسّ جداري ، فتهاوى
أهربُ مما عكسته مرايا الأعداء على ساريتي
فاحترقت سُفني

وتذوقت بكأسي طعم دماي

ألمحتويات

192

195